وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

معركة وادي المخازن وانعكاساتها
(986هـ/1578م - 1603م/1012هـ)

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتان:
- مباركي حنان
- صادمي رشيدة

- إشراف:
- بوقرين عيسى

السنة الجامعية 2015/2014

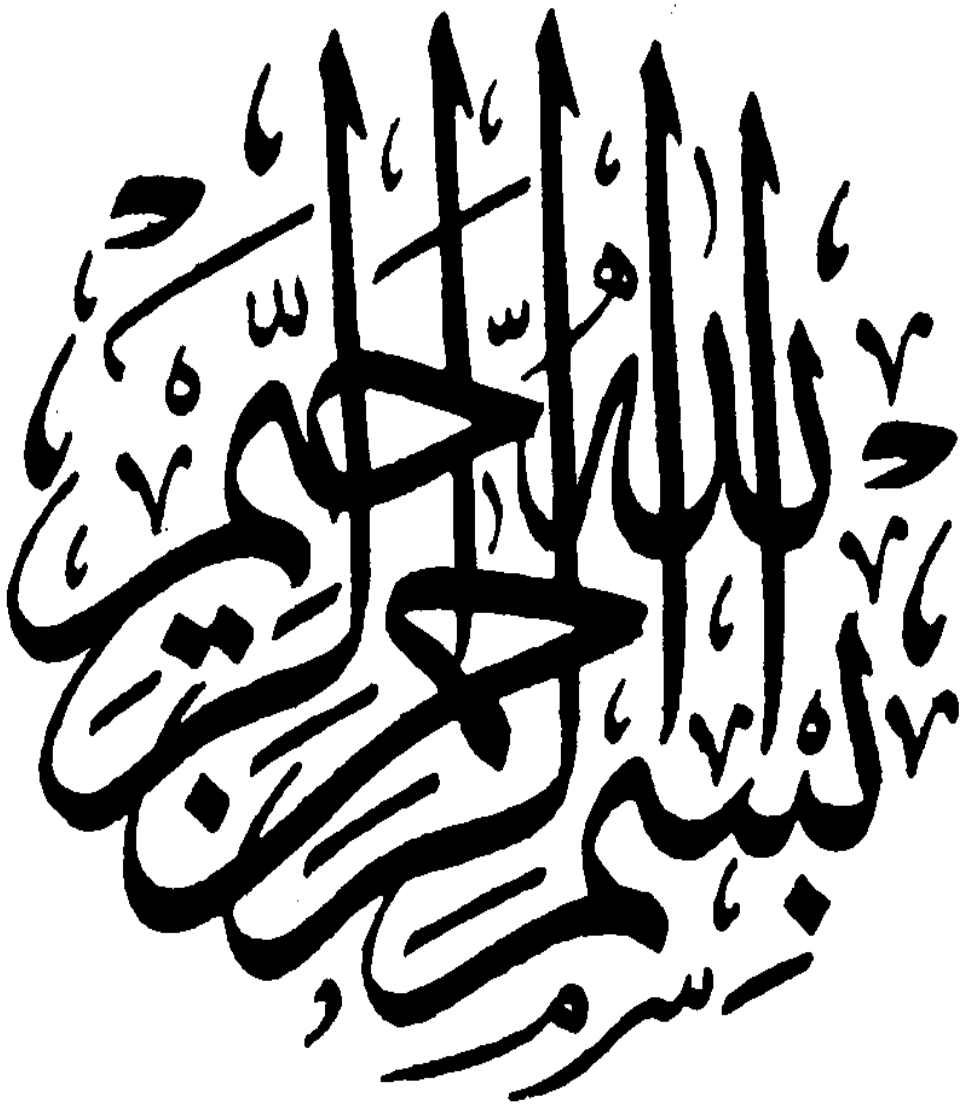
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشـــرف " بـــوقرين عيسى " على توجيهاته القيمة ونصـــائحه البنـــاءة المفيدة ونشكره على صبره وسماحته معنا طوال مدة هذا البحث ونشكر الأستاذ "معمر جعطيرن" وجميع الأساتذة الكرام بقسم العلوم الإنسانية ونشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي نتمنى أن يكون وقفا يدر علينا بالأجر والثواب.

~ مباركي حنان ~

~ حامدي رشيدة ~

إهداء

إلى من برحمته وسعة السموات والأرض، إلى الملك القدوس،

إلى السراج الوهاب نبراس الحياة المبعوث رحمة لأنام الأمين صلى

الله عليه وسلم.

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى أفراد أسرتي صغيرا وكبيرا

إلى من تقاسمت معي هذا العمل

"**صادمي رشيدة**" إلى رفيقات الدرب "نورة، فاطمة، خديجة، أمال"

إلى الأخت التي لم تلدها أمي ورفيقة مشواري والتي كانت لها

الفضل الكبير في مساعدتي في هذا البحث "**حنان زخروف**"

إلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية

إلى كل الزملاء والزميلات في الكلية

إلى من قاموا بإنجاز هذا العمل على أكمل وجه

"علي، مصطفى، عبد القادر، عطاء الله"

~ حنان ~

إهداء

إلى الذي لولاه لما عانقت روحي روح هذا الوجود الى الله
عز وجل إلى الذي لولاه لما رأى هذا الكون النور إلى
رسول الله صل الله عليه وسلم
إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما
إلى جميع أفراد أسرتي صغيرا وكبيرا
إلى من تقاسمت معي هذا العمل "مباركي حنان"
إلى جميع طلبة فوج رقم 02 إلى طلبة قسم علوم الإنسانية
إلى الذين وسعتهم ذاكرتي ولم يكتبهم قلمي

~ رشيدة ~

1- المختصرات باللغة العربية

الرمز	المعنى
ط	طبعة
ج	جزء
تر	ترجمـــة
د.م.ن	دون مكان النشر
د ت	بدون تاريخ
ص	صفحة

2- مختصرات باللغة الأجنبية:

P	Page
S.D	Sans date
T	tome
TR	Traduire

مقدمة

معركة وادي المخازن صفحة مضيئة أبد الدهر في تاريخ المغرب بل هي قمة معارك الإسلام الكبرى التي سجلت المجد والفخر للمغرب العربي وهي يرموك خالد ابن الوليد في بـــلاد الشـــام وقادسية سعد ابن أبي الوقاس في بلاد الفرس وتعتبر ومعركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة مـــن المعارك التي غيرت موازين القوى في العالم في تلك الفترة والتي كان لها انعكاسات مست منطقة البحر الأبيض المتوسط المغرب الأقصى على المستويين الداخلي والخارجي كما أن أثارها امتدت إلى العالم المسيحي والإسلامي وراحت تاريخ لحقبة من الصراع الإسلامي المسيحي جرت المعركة في صيف 986هـــ/1578م بمنطقة القصر الكبير بالمغرب بقيادة عبد الملك السعدي وأخيه المنصور ضد البرتغاليين بقيادة (الدون سيبستيان) بحجة استنجاد المتوكل بهم كانوا يسعون لضرب دولـــة الإسلام بالمغرب الأقصى واسترجاع الثغور المحررة من طرف المغاربة، وكذا التوســـع بـــالمغرب والهيمنة عليه بينما سعى المغاربة للانتصار لرد الاعتبار للمسلمين.

ودوافع اختيارنا للموضوع تكمن في ما يلي:

- ميلنا للدراسات والمواضيع المتعلقة بالمغرب الأقصى.

- رغبتنا في مواصلة البحث الخاصة بالموضوع

والإطار الزماني والمكاني الذي تقيدنا به هو:

- الإطار المكاني: المغرب، والزمـــاني: 986هـ/1578م وهـــو تـــاريخ المعركـــة إلى: 1012هـ/1603م، وفاة السلطان أحمد المنصور.

أما عن المنهج المتبع هو المنهج التاريخي نظرا لدراستنا واقعة تاريخية واتبعنا كـــذلك المنـــهج الوصفي الذي من خلاله يسهل على القارئ أخذ أو رسم فكرة عن هذه المعركة ومـــع طبيعـــة الحال اللجوء إلى التحليل:

- وفي ما يخص إشكالية هذا الموضوع فقد طرحنا السؤال الآتي:

- ما هي الظروف الدولية والمحلية التي جرت في ظلها واقعة وادي المخـــازن، ومـــا هـــي انعكاساتها على المستويين الدولي والمحلي؟.

كذلك اعتمدنا في موضوعنا هذا على خطة تضمنت ثلاث فصول:

تمثلت في: الفصل الأول: تناولنا فيه أوضاع المغرب الأقصى السياسية وعلاقاته الخارجية قبيل المعركة.

أما الفصل الثاني: خصصناه لمعركة وادي المخازن وجوانبها المختلفة فبينا أسبابها ثم تطرقنا لأحداثها وصولاً إلى نتائجها على المغاربة والبرتغاليين.

- أما فيما يخص الفصل الثالث: فقد ضم آثار وإنعكسات معركة وادي المخازن فتكلمنا عن تولي المنصور عرش الدولة السعدية وكذا سياسته الداخلية، وطبيعة علاقاته الخارجية مع الدول الأوروبية.

- وختمت المذكرة بخاتمة ضمناها أهم ما توصلنا إليه من خلال البحث في هذا الموضوع وأتبعنا الخاتمة بملاحق، ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع.

واعتمدنا في دراسة هذا الموضوع مجموعة من المصادر والمراجع وأهم هذه المصادر نذكر: المصادر المعربة، تاريخ الشرفاء، لدييقو دي طوريس عربه محمد حجي" ومحمد الأخضر " هو مؤرخ اسباني ولد 1526م بمكناس مكث بالمغرب 30 سنة وقد وصف الشرفاء السعديين وتحركاتهم ونشاطهم السياسي والعسكري.

-تاريخ إفريقيا للويس كربخال مارمول، نقله للعربية محمد حجي وآخرون وكان مارمول أسير اسبانيا لخدمة السعديين، وقد كان شاهد عيان وعاصر الأحداث خلال نصف الأول من القرن 16م.

- وبعض المصادر العربية: منها مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، عامر أحمد المنصور" ووضع كتابه هذا وفقا لتعليماته .

-وتاريخ الدولة السعدية التاكمدراتية: لمؤلف مجهول فقد تناول الكتاب معلومات عن مجريات المعركة .

-ومرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي المتوفى 1642، فقد ذكر في كتابه دور والده في معركة وادي على المخازن.

-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري وهو يحتوي على تسعة أجزاء حيث اعتنى بتاريخ المغرب من أول الفتح إلى العصر العلوي وقد اعتمدنا فيه على الجزئين الخامس والسادس والرابع .

-أما عن أهم المراجع: السياسة والمجتمع في العصر السعدي لإبراهيم حركات وكذلك العرب والبرتغال في التاريخ لفالح حنظل الذي تناول الصراع بين العرب مع البرتغال في منطقة المغرب الإسلامي .

وكذلك التاريخ الدبلوماسي للمغرب لمؤلفه عبد الهادي التازي في عشرة أجزاء واعتمدنا فيه على الجزء الثامن المخصص لعلاقات السعديين الذي تناول فيه سياستهم الخارجية، و العاشر المخصص لعلاقات المنصور بالدول الأوربية و عدة مجلات كالمؤرخ ومجلة دعوة الحق ومجلة المناهل.

أما عن الصعوبات فقد واجهتنا في بادئ الأمر لعدم تمكننا من الحصول على أهم ما يخص هذه المعركة من وثائق .

وفي الأخير فإن أصبنا في هذه المذكرة من دراسة وعمل فالفضل يرجع إلى المولى عزّ وجلّ وإن أنقصنا شيئاً فعسى أن يأتي من بعدنا لإتمامه والتوسع والتفصيل فيها أكثر أو دراستها بأسلوب آخر.

الفصل الأول
الأوضاع السياسية قبيل
مع معركة وادي المخازن

1- الوضع السياسي في المغرب قبل قيام السعديين :

أ- ضعف الدولة الوطاسية:

عندما انتقلت السلطة في المغرب لبني الوطاس[1]في الربع الأخير من القرن 9هـ/15م كانت سلطتهم ضعيفة ومحدودة في فاس وبهذا عجزوا على توفير الأمن وحماية البلاد من الغزو الخارجي الأمر الذي أدى إلى انتشار الفوضى والفتن وتجزئة المغرب إلى وحدات سياسية ظهر بعضها نتيجة الغزو والبعض الآخر نتيجة بعده عن مركز السلطة الحاكمة ومن بين هاته الوحدات السياسية الشبه المستقلة نذكر: إمارة بني راشد في شفشاون والتي كانت قاعدة قوية للجهاد ضد البرتغاليين اتخذها"علي بن راشد"[2] الذي ثار على الوطاسيين ورفض مهادنة البرتغاليين وعندما توفي علي بن راشد تابع ابنه إبراهيم عمليات الجهاد ضد البرتغال [3]،وكذالك نجد إمارة بني المنظري بتطوان والتي تولى أمرها عائلة أندلسية هي أسرة المنظري[4] التي توارث أبنائها الحكم في تطوان وعرفوا بجهادهم ضد المحتل، وإذا كانت ظروف الجهاد والمناداة بقتال البرتغاليين المحتلين قد ساعدت على ظهور هذه الوحدات السياسية في شمال المغرب فإن ضعف الحكم الوطاسي في فاس قد وضع بعض الولاة في مناطق البعيدة إلى محاولة الاستقلال عن العاصمة مثل ما حصل في مدينتي مراكش ودبدوا[5]وهذه الأخيرة شبه إمارة مستقلة منذ العقد الأول لقيام الوطاسيين وسقوط المرنيين حيث

---

[1]الوطاسيين :فرع صغير من بني مرين ينتمون لقبيلة زناتة الأمازغية شغلوا مناصب عليا في دولة المرنين واستطاع محمد الشيخ الو طاسي سنة 1471 تأسيس الدولة الوطاسية أنظر: أبو عباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج4، دار الكتاب، الدار البيضاء 1955، ص 96-97 .أنظر الملحق رقم (01)، ص 84.

[2] علي بن راشد:من الشخصيات المغربية التي صارعت الاحتلال البرتغالي في الشمال وهو الذي بنى مدينة شفشاون واتخذها قاعدة لجهاده وتم اسره من طرف البرتغاليين صبيحة 1457 وأطلق صراحه في عملية لتبادل الأسرى، انظر:عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1978، ص16.

[3]مارمول لويس كربخال، **تاريخ إفريقيا**، ج3، تعريب :محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة الرباط، 1989/1988، ص149.

[4]أبو الحسن علي المنظري الغرناطي:أحد قواد بني الأحمر في الأندلس أشرف على بناء تطوان وأسس بها إمارة، ظل يحمل لواء الجهاد لغاية وفاته.أنظر: محمد داود، **مختصر تاريخ تطوان**، ط2، مطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1955، ص15.

[5]دبدو: مدينة كبيرة جنوب مليلة كانت حصنا لبني مرين، أنظر: مارمول لويس كربخال، المصدر السابق، ج2، ص270.

لجأ أمراء بني مرين إلى هذه المدينة بعد أوائل ملكهم ومنهم الأمير محمد بن أحمد المريني الذي ثار بدوره ونادى بنفسه أميرعلى المدينة فضلت الإمارة بيدهم حتى أن أمراءها كانوا يلقبون بالملوك . وعاشت جنبا إلى جنب مع الوطاسيين إلى أن كانت نهايتهما على يد السعديين[1]وفي الجنوب نجد إمارة بني هنتاتة الذين استولوا على الحكم واتخذوا مراكش عاصمة لهم وقد أخذ نفوذهم يزداد منذ منتصف القرن 9هـ/15م حتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي[2].

وفي وسط المغرب كانت إمارات ابن حدو وأخيه أبي فارس في الجبل الأخضر وإمارة ابن عامر في تنسيتة وإمارة آل فرحون في آسفي وجمهوريات مدن تافرة والجمعة وآزمور[3] ونفوذ رؤساء القبائل في سهول تادلة[4] ودكالة[5].

وعليه يمكن القول أن المغرب خلال ق 9 هـ/15مكان يعيش ظروف سياسية ضعيفة نتج عنها انعكاسات وآثار سلبية في شتى المجالات وأدت لانقسامه لوحدات سياسة متصارعة خصوصا المتجاورة منها نذكر صراع أمير جبل هنتاتة مع أمير مراكش وهاته الظروف تبرز حالة الضعف الذي وصلت إليها الدولة الوطاسية

كما نجد أن للطرق الصوفية أثر بالغ على أوضاع المغرب منذ بداية القرن9هـ حيث بدأت هذه الطرق مع أبي الحسن الشاذلي (616هـ/1258م) وانتشرت الطريقة الجزولية[6] مع الشيخ الجزولي (869هـ / 1464م)وتعددت الأربطة والزوايا وأنتشر تعظيم الصلحاء وازداد عددهم في

---

[1]عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص17.

[2]الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ط2، تعريب:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ص 154.

[3] بلد بالمغرب في جبال البربر، أنظر: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، ، معجم البلدان ، مجلد2، دار صادر، (د.م.ن) 1997/1993، ص129.

[4]تادلا:من جبال المغرب قرب تلمسان وفاس، نفسه، ص5.

[5]عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/15م**، ج1، ط1، دار الأمر للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص46.

[6]الجزولية :طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة الشاذلية أسسها محمد بن سليمان الجزولي توفي سنة 870هـ/1464م، أنظر:إسماعيل العربي، **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الأفاق، المغرب، 1993، ص111.

المدن والبوادي وقوي نفوذهم في نفوس العامة وخشيت من سطوتهم السلطة الحاكمة فراحت تكسب ودهم وتقترب منهم وتأخذ منهم الشرعية وتدخلوا في القضايا السياسية عن طريق مراقبة السلطة وتوجيهها أو تعويضها أحيانا في حالة عجزها وحل بعض المشاكل الاجتماعية بتسوية الخلافات بين الأشخاص أو بينهم وبين المخزن أو طلب التوسل لهم في استنزال المطر[1] وقد ذكر الوزان أن في منطقة جبل "بني مكناسة" ــ ما نصه ــ "...أنه يوجد بينهم عدد من علماء الشريعة الإسلامية لهم طلاب كثيرون يلحقون أكبر الضرر بهذه الجبال لاسيما في الأماكن التي يستقبلون فيها بالترحاب ولا تفرض عليهم ضرائب ثقيلة، لأنهم ينفقون على الفقهاء والطلبة..."[2].

ولما رأت القوى الدينية الخطر المسيحي يهدد البلاد وأمام انعدام سلطة حكومية ذات كفاءة بدؤوا في تنظيم الجهاد وأقدموا على:

- تكوين خلايا جهادية (حركة بني راشد وزوايا سوس).
- الإعداد لإقامة دولة قوية وقد تولت هذه المهمة الطريقة الجزولية.
- الميدان الحربي (الجهاد ضد الإسبان والبرتغال)[3].

ب- الغزو الايبيري:

في هاته الظروف كان البرتغاليين والإسبان في شبه الجزيرة الإيبيرية[4] يستكملون وحدتهم وبحلول القرن 9هـ / 15محتى وجد الإيبيريون أنفسهم يتطلعون إلى توسيع نفوذهم والسيطرة على المغرب وما شجعهم في ذلك ضعف الوطاسيين وترجع أول عمليات الاحتلال البرتغالي

---

[1]-أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تر:زهراء النظام، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، صص26-27 .

[2]-الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص339 .

[3]-إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دارا لرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص37.

[4] الجزيرة الايبيرية: شبه جزيرة إيبيريا نسبة إلى جدهم الايبر مجهول الأصل تسمى الأندلس كانت حاضرة للمسلمين لـ8 قرون سميت بإسبانيا، أنظر:محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تر: الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر، (دت)، ص137-138.

والاسباني للسواحل المغربية إلى مطلع القرن15هـ عندما أقدم البرتغاليين على احتلال سبتة التي دخلوها يوم الأربعاء منتصف جمادي الثاني 818هـ / 02 أوت 1415مإعلانا لبداية الاحتلال الإيبيري للسواحل المغربية[1].

وقبلهم دمر الإسبان مدينة تطوان سنة 803هـ/ 1400مقبل الإبحار منها، وقد حصل بين هاتين الدولتين (البرتغال ــ الإسبان) خلاف وصراع حول السيطرة على جزر كناريا[2] التي اعتبرها كل من الطرفين نقطة ومركز انطلاق وتوسع غربي إفريقيا ولأهمية هذه الجزر وخوفا من أن يصطدم الطرفان، كان البابا يتدخل لتحديد مجال النفوذ لكل طرق وفق معاهدة "تور ديسلاس " سنة 899هـ/ 1494م[3].

ولما كانت السفن البرتغالية والإسبانية أثناء سيرها محاذية للسواحل المغربية في إتجاه جزر كناريا وغربي إفريقيا، تضطر للتوقف في بعض المراكز المغربية للتزود منها أو التجارة معها، الأمر الذي سمح للبرتغاليين للإطلاع على الأوضاع الداخلية المزرية للمغرب فوجدوا الفرصة مناسبة لاحتلال سبتة التي كانت تعتبر من المراكز الهامة في شمال المغرب.

من تلك الفترة ظل المغرب يواجه المحن جراء هذه السياسة فاستولى البرتغاليون على القصر الصغير سنة 862هـ/ 1458م وعلى أصيلا وطنجة سنة 876هـ/ 1471موأقدم الإسبان على احتلال مليلة في سبتمبر 1497م بعد ما فر أهلها خوفا من الإسبان.

وواصل البرتغاليون زحفهم على السواحل المغربية فاحتلوا ساحل ماسة سنة 1497م ليضعوا منافسيهم أمام الأمر الواقع غير أن الإسبان أجابوا على ذلك بالسيطرة على مواقع ساحلية قريبة من "سنتاكروز" مثل: طاكوستو تامانار وأفران وآفني سنة 1499م.

---

[1] محمد بن القاسم الأنصاري، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تر:عبد الوهاب منصور، ط2، الرباط، 1983، ص27.

[2] جزر كناريا: أو الجزائر الخالدات تابعة للتاج للاسباني على المحيط الأطلسي تطالب بها المغرب اليوم وهي عبارة عن أربعة جزر كبرى تبلغ مساحتها 7277كلم^2 أنظر:مارمول لويس كربخال، مصدر سابق، ج2، ص237.

[3] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 10.

وليعزز الإسبان نقاط احتلالهم هذه قاموا ببناء عدة حصون خلال السنوات الأولى من مطلع ق 16م[1].

كما احتل البرتغاليون أغادير[2] سنة 911هـ / 1505م وأقاموا فيها حصن منيع سمي بحصن "سانتاكروز" وبعد سنة من ذلك دخل البرتغاليون مدينة الصويرة سنة 912هـ / 1506م ثم مدينة آسفي سنة 914هـ / 1508م وآزمور[3] سنة 819هـ / 1513م والجديدة 920هـ / 1514م[(4)] و لم تقتصر المنافسة الإسبانية البرتغالية على سواحل بلاد المغرب الجنوبية، وإنما شملت بقية سواحل المحيط الأطلسي وسواحل البحر الأبيض المتوسط إذ احتلوا كذلك الإسبان مدينة غساسة[(5)] وحجر بادس1506م وفي سنة 1509م توصل الطرفان المتنافسان من اجل التوسع في المدن الساحلية المغربية على توقيع معاهدة [6] Sintra

---

[1]عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص11.

[2]أغادير:هي كلمة باللغة الامازيغية وتعني مخزن الممتلكات هي عاصمة جهة سوس ماسة ودرعة بجنوب غرب المغرب أسسها البرتغال سنة 1500م وحررها المغاربة 1526م، أنظر ياقوت الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، مصدر سابق، مجلد3، ص28.

[3] آزمور:وهو ميناء كبير على المحيط الأطلسي، أنظر عبد الفتاح لمقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**.....، ج5، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص84.

[4]محمد الفاسي، **احتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، عدد 8، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، 1978، عدد 8، ص21، 22.

[5]غساسة مدينة مغربية، احتلها الإسبان سنة 911هـ / 1506م تقع إلى الجنوب وتبعد عن مدينة مليلة حوالي 25 كلم[2].أنظر:

Renan Ernest, docummentinedetes sur lhistoir de L'occupation Espagnole en afrique, publier par le marchal de macmahon, alger, 1875, p10

[6]سنترا sintra:مدينة برتغالية جبلية تقع في الشمال بها قصور ملوك البرتغال عقدت فيها معاهدة سنترا بين البرتغال وإسبانيا 1509م وبموجبها تحدد مجال عمل كل طرف فكان مجال الاسبان يبدأ من حجر بادس ويمتد شرقا أما مجال البرتغال فيمتد غرب بادس، أنظر عمار بن خروف، مرجع سابق، ص47، أنظر الملحق رقم (02)، ص.85

ج- عوامل الغزو الايبيري للمغرب:

- **العامل الديني:**

لعب العامل الديني في الغزو الإيبيري للمغرب دور حاسم استغلته الكنيسة الكاثوليكية في بث حماسة الدين في النفوس مذكرة الشعوب الأوربية بماضي الحروب الصليبية فقد أرسل يوحنا الأول خطابا إلى البابا (نيقولا الخامس 1447م/ 1455م) جاء فيه[1] "... أن سروري عظيم أن نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال قد سار على خطى أبيه الملك جون بوصفه جنديا قادرا من جنود المسيح ليقضي على أعداء الله وأعداء المسيح من المسلمين الكفرة " وشاهدة المؤرخ البرتغالي " جواد دوبا روس " من القرن 18بقوله " لقد خص الله البرتغال بنعمة أن كتب لهم غزو الكفار وخاصة العرب منهم الذين غادروا بلادهم في الشرق ووفدوا إلى بلادنا في الغرب..."[2].

- **العامل الاقتصادي:**

سعت البرتغال مع بداية القرن 16م للحصول على العبيد وبهذا اعتبرت رائدة في هذا النوع من التجارة في العصر الحديث[3] فكانت الشعوب المغربية والإفريقية هدفا لصيادي البشر الذين أطلق عليهم لفظ الجلابة. فكانوا يشحنون بضاعتهم إلى أمريكا وكوبا ففي عام 926هـ/ 1520مأرغم الكثير من المغاربة على بيع أبنائهم قبل بيع أنفسهم وأصبح العبد المغربي في نظرهم لا يساوي شيئا نظرا للتهمة الموجهة إليه أنه يعود إلى الإسلام بعد تعميده وبذلك زهد فيهم النخاسون

---

[1] عبد العزيز نوار ومحمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، ج1، دار الفكر، دمشق، 1999، ص59.

[2] علي بن إبراهيم الدورة، **تاريخ احتلال البرتغال للقطيف**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص112.

[3] -شوقي عطا الله الجمل وعبد الله الرزاق، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2 دار الزهراء، الرياض، (د.ت)، ص51

ونتيجة لهذه الوضعية المزرية استنكر الشيخ ابن بحبش التازي[1] هذا الفعل من النصارى وصاح في الناس بالجهاد لتخليص المسلمين من العبودية[2]كانت العبارات التي تكتب على زجاجات الأدوية في المماليك الأوربية خلال البواكير الأولى لعصر النهضة مثل: وارد من بلاد الهند أو وارد من بلاد العرب تلهب حماس الكثيرين خصوصا المغامرين والراغبين في الثراء وتدفعهم للبحث عن مواطن تلك الثروة من المواد المعدنية وغيرها ونقلا عن كتاب " آسيا والغرب " لصاحبه بنيكار" Panikar" ذكر محمد حميد السلمان عن الأهمية الاقتصادية للفلفل ما نصه: " لعله ليس للفلفل الآن أهمية كبيرة في التجارة حيث كان في ذلك العصر يقف على قسم المساواة مع الأحجار الكريمة فإن الناس يواجهون مخاطر البحار يقاتلون ويموتون في سبيل الحصول عليه[3].

- **العامل الإستراتيجي:**

أدت جهود إسبانيا والبرتغال البحرية إلى اكتشاف أمريكا وطرق جديدة للهند والطواف حول إفريقيا وفي ظل سعي الدولتين لإقامة إمبراطوريات استعمارية في أمريكا.

والشرق الأقصى لم يكن هناك داعي للاهتمام بالمغرب الأقصى وخصوصا أن السفن المتوجهة نحو غينيا والهند كانت تمر بالسواحل المغربية[4].

إضافة إلى العثمانيين الذين كانوا يرغبون في مد نفوذهم للمغرب الأقصى وإلحاقه بالآيالات الثلاث عمل الوطاسيون على التقرب من الأتراك وكذا قبلو بالاعتراف الاسمي للخليفة العثماني

---

[1] هو الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن بحبش التازي المتوفى سنة 820هـ/1417م من العلماء العاملين المجاهدين كان يدعو الناس لمواجهة العدو الايبيري، أنظر:أحبد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج2، ط1، تقديم وإشراف:عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص583.

[2] محمد زروق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، دار إفريقيا الشرق، المغرب ، (د.ت)، ص13.

[3] محمد حميد السلمان، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة 1535/1507م**، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م.ن)، 2000، ص5.

[4] محمود علي عامرومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب الحديث (المغرب الأقصى ليبية)**، ج1، منشورات جامعة دمشق، 2000/1999، ص21.

كما حرصوا على توجيه الهدايا لشخصه[1] وبهذا الانقياد ضمن الوطاسيون عدم تدخل الأتراك العسكري في التراب المغربي وبالرغم من كل هذا إلا أن الأتراك حرصوا على الإطاحة بأبو حسون الوطاسي وهم بفاس بعد دعمهم له بالرجال والسلاح فلم يخفوا مطامعهم بعدما رأوا خيرات المغرب ورغبوا في ضم المغرب وإعلان البيعة للسلطان العثماني[2]. وعند تولي السعديين الحكم بالمغرب التزموا التعامل الحذر مع الأتراك ورفضوا التحاق المغرب بالباب العالي وهذا ما حال دون تحقيق الأتراك هدفهم في ضم المغرب.

[1] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 29، 30.

[2] مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تقديم وتحقيق:عبد الرحيم بنحادة للطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص24.

2- نهاية الوطاسين وقيام السعديين:

بعد الصدام الذي حدث بين محمد الشيخ السعدي وأحمد الوطاسي في معركة درنة في رجب 952هـ / 1545م تمكن محمد الشيخ من أن يلحق هزيمة كبيرة بالجيش الوطاسي وتم أسر السلطان الوطاسيو ابنه وأخذ مقاطعة (تادلا) وبات الطريق إلى فاس مفتوحا إلا أن أهلها بقيادة أبي حسون الوطاسي أبدوا مقاومة شديدة مما أجبر محمد الشيخ أن يكتب للفاسيين يطلب منهم تسليم مدينة مكناسة مقابل إطلاق صراح السلطان الوطاسي.[1]

لكن محاولته باءت بالفشل وبدأت بوادر التدخل العثماني في المغرب تلوح في الأفق بعدما وجهت الأسرة الوطاسية إستغاثة للسلطان العثماني سليمان القانوني للتدخل لإطلاق سراح السلطان الأسير وأمام هذه الأوضاع التي واجهت السلطان السعدي سارع إلى تجهيز حملة عسكرية قوامها 30 ألف بين فرسان ومشاة في رمضان 955هـ / أكتوبر 1548م فحاصر فاس بضعة أشهر ودخلها جانفي1549م / محرم 956هـ وهذا قبل أن يستجيب السلطان العثماني لنجدة الوطاسيين[2].

أ- القضاء على الحكم الوطاسي في فاس 956هـ / 1549م:

تم القضاء الأول على الحكم الوطاسي في معركة درنة في رجب 952هـ / 1545م حيث ألحق محمد الشيخ السعدي هزيمة كبيرة بالجيش الوطاسي وتم أسر السلطان وابنه والسيطرة على مقاطعة تادلا وهكذا أصبح الطريق مهيئا نحو فاس إلا أن أهلها أبدوا مقاومة للسعديين في الوقت توجه أبو حسون الوطاسي للجزائريين يطلب مساعدتهم، وبذلك وجه محمد الشيخ السعدي حملة على تلمسان[3] مما أغضب حكام الجزائر اللذين عملوا بدورهم على دعم أبي حسون عسكريا فاستطاع أن يسترجع فاس في مطلع صفر 961هـ / جانفي1554م وبذلك انتعشت الإمارة

---

[1] دييقودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت)، ص103.

[2] عمار بن خروف، مرجع سابق، ج1، ص 56.

[3] نفسه، ص82.

الوطاسية المتهاوية من جديد وبجلاء القوات التركية ورجوعها للجزائر أصبح أبو حسون يواجه خصمه المولى محمد الشيخ منفردا فالتقى الجمعان في معركة في مكان يسمى رأس الماء وقد نصب محمد الشيخ كمينا لأبي حسون فقتله وهنا تم القضاء النهائي على الحكم الوطاسي بالمغرب.

ب- الأوضاع الدولية في ضل قيام السعديين:

- **الوضع في الدول الغربية:**

صادف ظهور السعديين ومدة حكمهم تغيرات كبيرة في سير الأحداث بأوربا ففي هذا العصر بدأت فيه فرنسا تتجه إلى إصلاح جهازها العسكري والإداري وازدهرت بها الحركة الأدبية وسمي هذا العصر بالنسبة لفرنسا بعصر النهضة كما تم طرد المسلمين نهائيا من إسبانيا في أول نشأة للدولة السعدية بسوس كما انفصلت البرتغال عن المملكة الإسبانية وكان الصراع على أشده بين إنجلترا وإسبانيا في أمريكا من أجل النفوذ السياسي والاقتصادي وكانت هذه الفترة عهد اصطدام بين البرتوستانتية والكاثوليكية في عدة بلدان كإنجلترا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا. [1]

- **الوضع في الدول الإسلامية:**

استمرت الدولة العثمانية في فتوحاتها وتوسعها السياسي وكان من ملوكها شخصيات عظيمة كالسلطان سليم الأول الذي قهر أعداء العرش من إخوته وفتح "تبريز" عاصمة العجم وقضى على السلطان الغوري ملك مصر والشام وضم مملكة إلى نفوذه أما ولده سليم الثاني قضى على الحفصيين 1554م ــ وفي هاته الفترة خضع العالم الإسلامي كله تقريبا إلى الحكم العثماني المباشر ومن لم يكن خاضع بهذه الصفة اعترف بالنفوذ العثماني[2].

ج- قيام السعديين:

أحدث الاحتلال المسيحي للسواحل المغربية ردة فعل قوية في الداخل إذ ظهرت حركة تدعوا إلى حمل السلاح والتقدم لتحرير الأراضي المغتصبة وقد أصبح أمر السلطة القائمة "بنو

---

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص343-345-349.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، **العالم في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص س61-85.

وطاس" مرهون على مدى استجابتها لهذا النداء لكن الوطاسيين كانوا نتيجة الضعف لم يسمح لهم من نشر الأمن في الداخل وصد العدوان الخارجي[1].

ولهذا بدأ أهل المغرب ينتظرون قيام قيادة جديدة من شأنها ضبط الأحوال المضطربة وتدافع عن الثغور أمام التهديد الإيبيري فقامت الدعوة السعدية[2] في الجنوب حاملة شعار توحيد البلاد وتحرير المناطق المحتلة والجهاد ضد النصارى فوجدت بذلك قبولا واستحسانا وتجاوبت معها فئات كبيرة من الشعب المغربي[3].

باشر السعديون دعوتهم الجهادية في المغرب الأقصى ناحية درعة فبايع الناس الشريف محمد بن عبد الرحمان السعدي[4]، الذي تم تنصيبه سنة 916هـ / 1510م ولقب بالقائم بأمر الله متخذا من قرية تيدسي قرب تارودانت أول عاصمة للدولة السعدية.

- **أصل السعديين:**

تروى عن نسب السعديين روايات كثيرة أهمها ما يلي:

قيل أنهم من بني سعد بن هوزان الذين تنتمي إليهم حليمة السعدية مربية الرسول صلى الله عليه وسلم وهي رواية المقري صاحب "النفح الطيب"[5].

---

[1] عمار بن خروف، مرجع سابق، ج1، ص 33.

[2] إن أصل الأشراف السعديين من الحجاز وهم ينتسبون إلى ولد محمد النفس الزكية وسبب قدومهم إلى المغرب أن أهل درعة كانت ثمارهم لا تصلح فقيل لهم لو أتيتم بشريف إلى بلادكم كما أتى أهل سجلماسة لصلحت ثماركم وهذا ما سنفصل فيه في ما بعد انظر : أبو العباس احمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج5، ص3.

[3] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 34، أنظر الملحق، رقم (03)، ص86.

[4] عبد الرحمان السعدي : هو مؤسس الدولة السعدية بويع أميرا سنة 915هـ/1510م توفي بأفوغال قرب شيشاوة سنة 923ه/1518م ودفن بمراكش، أنظر :إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص 275 .

[5] أحمد بن أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج3، دار صادر، بيروت، 1988، ص72.

وقد قيل إنما لقبهم العامة بالسعديين لأنهم سعدوا بدولتهم وهذه من روايات الأفرني وقيل أنهم أيضا من ولد النفس الزكية فهم والحالة هذه أبنائهم العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد وهذه الروايات ساقها الناصري في الإستقصا في أول كلامه على الدولة السعدية[1].

وجاءت رواية أخرى أن يذهب السعديين إلى أنهم من أولاد علي بن أبي طالب وقد أقر بعض المؤرخين بصحة هذا النسب بينما أنكره آخرون وقالوا أنهم عرب من بني سعد بن بكر[2]ولذا سمو بالسعديين ويقول البعض أنهم سمو بهذا الاسم لأن البلاد سعدت بهم ولا يرضى السعديون بهذا القول لأنه يبعدهم عن نسبهم الشريف الذي يحرصون عليه كل الحرص[3].

والصحيح هو أن الدعاية الشائعة حول نسبهم من حيث عدم انتمائهم إلى البيت العلوي إنما تولى كبرها الأشراف العلويين أنفسهم لأن السعديين أقصوهم من المراكز الأساسية في الحكم ثم عادوا للاعتراف بشرفهم لسان سلطانهم محمد بن عبد الله على بعض خصومهم يتهمون المنصور بأنه لم يكن ابنا شرعيا[4].

ونسب السعديين العربي ليس موضوع شك ولكن نسبهم الشريفي كان موضوع طعن ويبدوا أن هذه المسألة أثارها الأشراف العلويين في أواخر عهد السعديين عندما كانوا يتحركون ليحلوا محلهم.[5]

وكان أول ما قام به السعديين هو مواجهة الغزو الخارجي بحيث قام محمد القائم بأمر الله بمهاجمة البرتغاليين عند أغادير وتحققت لها إنتصارات أولية كبيرة مما دفع سكان حاجة و الشياظمة من استقدامه ليقود الجيش للجهاد ضد النصارى وذلك بعد أن عقد البيعة لإبنه أبي العباس الأعرج

---

[1] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 73

[2] الحسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص289.

[3] أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص73

[4] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص275.

[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 29.

كوالي للعهد سنة 918هـ وقد قدمت له كل قبيلة بيعتها كما أسند قيادة الجيش لابنه الأكبر الأعرج.

كما قام السعديون بمواجهة البرتغاليين في أسفي وكذا عملوا على التخلص من العملاء منهم يحي ابن تعفوفت[1] في سنة 924هـ / 1518م تخلص السعديون من عميل خطير قام بدور فعال في التمكين للبرتغاليين

وظل اهتمام السعديين في عهد أحمد الأعرج وحلفائه منصبا على مواصلة النضال ضد وجود الأجنبي في السواحل واستطاع أن يزحف بقواته نحو أسفي ويحاصرها مدة طويلة استغرقت10 سنين ليتم فتحها نهائيا في سنة 913هـ / 1530م.

-الاستيلاء على مراكش 934هـ / 1527م:

بينما كان أبو العباس أحمد الأعرج مشغولا بحصار أسفي[2] استقبل وفدا عن قبيلة هنتاتة[3] التي تحكم مراكش ونواحيها والتي أعلنت بيعتها لأحمد الأعرج دون علم أميرها الناصر بوشنتوف حيث قام الوفد بالمبايعة نيابة عن القبيلة فتقدم الملك السعدي نحو مراكش مدعيا بالاستنجاد بأميرها ضد البرتغاليين وتم لقاء ودي بينهما على أبواب مراكش، وهنا تخلص أحمد الأعرج من الأمير الهنتاتي بتسميمه الأمر الذي سهل عليه دخول مراكش وبويع أميرا عليها[4].

وقد عرفت الحركة السعدية تطورات هامة ميزها الصراع سواء ضد الوطاسيين في الداخل والذين شعروا بخطر الحركة، أو ضد مراكز الاحتلال الأجنبي ومن تعاون معهم من الأهالي.

---

[1] يحي بن تعفوفت :عميل للبرتغاليين ناحية أسفي بلغ أتباعه خمسة آلاف رجل من العرب والأفارقة قتله رجال من قبيلة أولاد عمران، أنظر: مارمول لويس كربخال، مصدر سابق، ج2، ص11.

[2] أسفي :مدينة الخزف وحاضرة الأطلسي مدينة مغربية على الساحل الأطلسي قرب الدار البيضاء تقع بين مدينتي الجديدة والصويرة و تعد من بين أعرق المدن المغربية، أنظر:ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، مصدر سابق، ص31.

[3] هنتاتة:قبيلة بربرية من قبائل مصمودة موطنها الحالي درن وقريبة من مراكش قدمو للمغرب مع جيش الموحديين، أنظر: عبد الفتاح المقلد الغنيمي، مرجع سابق ، ج5، ص85

[4] إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، مرجع سابق، ص49.

فعمل الحكام السعديين على استغلال كل الفرص التي تمكنهم من القضاء على خصومهم وتوطيد دعائم ونفوذ دولتهم الناشئة والاستمرار في توحيد البلاد وتحرير سواحلها المحتلة حيث استغل أحمد الأعرج الهدنة التي وقعها مع البرتغال لبسط نفوذه على معظم البلاد الجنوبية فظهر السعديين كقادة محررين للسواحل المغربية من الاحتلال الأجنبي فازدادت شعبيتهم وتوسع نفوذهم[1].

بذل السعديون الأوائل جهود كبيرة بالنهوض بالاقتصاد المغربي والارتقاء به وفي مقدمتها[2]:

توفيرا الأمن والاستقرار المهمين لأي تحسن اقتصادي وعملوا على تحقيق هذا الشرط خلال القرن 10هـ/16م، بوقف حملات النهب والقتل البرتغالية،فك الحصار الاقتصادي الذي فرضه الإسبان والبرتغال على المغرب بعد سيطرتهم تقريبا على شواطئه الساحلية الأطلسية والمتوسطية[3].

وأهم ما ميز الجانب الاقتصادي خلال ق 10هـ / 16م هو رواج التجارة مع الخارج ويعتبر هذا القرن أحسن فترات الانتعاش الاقتصادي بالمغرب بالرغم من الأزمات التي تخللته كمجاعة 1521م ولقد لاحظ الأجانب من سواح وتجار وغيرهم رخاء المعيشة بالمغرب[4].

اهتموا كذلك بالزراعة خاصة زراعة قصب السكر الذي أزداد إقبال الأوربيين عليه لجودته ورخصه حتى أصبحت عائدات السكر من الموارد الهامة لخزينة الدولة أما الصناعة الحربية فقد أستطاع السعديون الأوائل صناعة بعض أسلحتهم كالمدافع في ترسانة مراكش[5].

حيث كان يعمل بها في ظل الحكم السعدي عدد كبير من الأسرى المسيحيين تحت إمرة أعلاج وأتراك فيها كان يذوب النحاس لصنع المدافع وقد تم اكتشاف معدن النحاس المخصص

---

[1] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص51، 53.

[2] عمار بن خروف المرجع السابق، **العلاقات السياسية** .....، ج2، مرجع سابق، ص 38، 39.

[3] عمار بن خروف، **ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين**، مجلة الدراسات التاريخية، عدد3، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1978، ص69، 70.

[4] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص427.

[5] عمار بن خروف، **ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين**، مرجع سابق، ص39.

لهذا الغرض بجبل تزارنة946هـ / 1539م حيث استطاع لأول مرة أن يصنع علج من أعلاج مدريد دخل الإسلام هذا السلاح الفعال في معارك ق 10هـ / 16م وهنا اكتشف أحد السويسيين من جزولة سر صناعة القنابل[1].

لعب التجار اليهود دور فعال في الحياة الاقتصادية إلى جانب دورهم التجسسي على إمكانيات السعديين الاقتصادية والعسكرية[2] إذ سيطروا واحتكروا التجارة المغربية (تجارة السكر وملح البارود والنسيج وغيرها و لم يكن ينافسهم في هذا المجال إلا الإنجليز ويذكر لنا الوزان دور اليهود في المجال الإقتصادي كما ذكر أنهم ألحقوا أضرار كبيرة بالأهالي لنشرهم داء الزهري حيث قال: "... وداء الأفرنج الزهري القطيع بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه أحد فظهر فيهم هذا الداء الذي حمله كثير من يهود إسبانيا..."[3].

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص 430.

[2] عطا علي محمد شحاتة، **اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرنيين والوطاسيين**، ط2، دار الكلمة للطباعة، دمشق، 1999، ص58.

[3] الحسن بن محمد الوزان، مصدر سابق، ص84.

3- علاقات السعديين الخارجية:

أ- العلاقات السعدية الإسبانية:

لقد كان لمغلب الدول الأوربية علاقات مختلفة مع المغرب الأقصى ونخص بالذكر الدول الإيبيرية التي كانت من حين لآخر العلاقة بينهما علاقة صراع وهيمنة خاصة بعد ما نجد أن الأشراف السعديين كانوا ضد فكرة ضمهم للدولة العثمانية التي سعت إلى جمع شمل المغاربة والعمل أو السعي لطرد العنصر المسيحي من الأراضي الإسلامية وهو ما شل حظه في سير هذه العلاقات.

لقد كانت بداية العلاقة يمكننا القول منذ طلب الوطاسيين العون من الإسبان من أجل الوقوف في وجه السعديين وذلك منذ بداية ظهورهم في الجنوب فنجد أن الإسبان قد وجدوا فرصة لإبعاد الوطاسيين من الارتماء في أحضان الأتراك[1].

وقد ضلت العلاقة قائمة بين الإسبان والمغرب الأقصى حتى بعد سقوط بني الوطاس، فكانت علاقتهم مع أوائل السعديين كان يطبعها السلم والحذر و لم تتطور هذه العلاقة وتتوطد إلا بعد شعور السعديون بالخطر العثماني[2]. وكان التقارب الإسباني المغربي مؤثرا على قضيتين هما:

الثغور المحتلة وقضية المورسكيين بحيث نجد أن الإسبان بمجرد وصول محمد الشيخ إلى الأفق ترقبوا التعاون التام بين محمد الشيخ والأتراك باعتبارهم أن هذا التقارب سيؤثر على القضيتين سابقتي الذكر.

ففي ما يتعلق بالثغور المحتلة فقد سارع السلطان السعدي إلى بناء أسطول بحري لتحرير جميع السواحل المغربية خاصة أنه يملك موانئ مهمة على المحيط مثل العرائش والمعمورة وسلا وآسفي ولن يجد صعوبة في ذلك لأن التجار الأجانب والفرنسيين يمكنهم أن يزودوه بمختلف المواد اللازمة كذلك

---

[1] عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج7، مطابع فضالة الحمدية، المغرب، 1988م، ص262.

[2] عمار بن خروف، **العلاقات السياسية** .....، ج2، مرجع سابق، ص163.

أما عن القضية المورسكية: باعتبار أن مورسكيو غرناطة كانوا يتواجدون بإستمرار في فاس وانضموا لمحمد الشيخ فقد حثوه على توجيه ضربة للإسبان الذين كانوا يتطلعون لمجيء محمد الشيخ لخلاصهم على أساس أن يقوموا بثورة في الداخل متى شعروا باقترابه من إسبانيا.

ونجد أن رد فعل إسبانيا من هذا هو تدعيم الثغور سواء الإسبانية أو البرتغالية وذلك لتخوفهم من الخطر المغربي واعتبار الثغور البرتغالية حزام أمن متقدم للدفاع عن شبه الجزيرة الإيبيرية والعمل على عرقلة الاتصال بين المغاربة ومورسكيي غرناطة والحد من نشاط مجاهدي تطوان وسلا والعرائش[1].

وفي هذا الخصوص أصدر شارل الخامس أمر في 29 مارس 1549م يمنع كل العلاقات التجارية بين موانئ الأندلس وموانئ سلا والعرائش وغيرها من الموانئ الخاضعة للحكم السعدي وذلك لعدة أسباب:

د- الإتجار في القمح يؤدي إلى نقصه بإسبانيا وغلائه
ه- حرية التجارة تمكن المغاربة من الإطلاع على تحركات الأسطول الإسباني
و- تسمح التجارة مع المغرب بتهريب الأسلحة.[2]

للمورسكيون الذي يتعاطون التجارة مع المغرب "يعودون" إلى دياناتهم الأولى بمجرد التحاقهم بالمغرب.

لكن الأطماع التركية في المغرب أفشلت جميع الجهود وهذا ما دعى محمد الشيخ إلى التقرب من الإسبان وطلب المساعدة منهم لمواجهة الأتراك.

لكن فيما بعد ازداد عدم اطمئنان "عبد الله" على ملكه نتيجة لجيرانه أتراك الجزائر وقد جعله هذا الأمر يمضي في التقارب الذي بدأه والده مع الإسبان وكان محمد الشيخ من بين المعارضين

---

[1]-عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج8، المغرب، 1988، ص133.

[2]محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن16**، مجلة المناهل، العدد 38، السنة 15، ديسمبر 1989م، ص 186-185

لسياسة التوسع التركي وتطورت العلاقة بعد الحملة الجزائرية على المغرب سنة (960هـ / 1553م) (961هـ / 1554م) والتي أشعرتهما بضرورة الاتفاق ضد عدوهما المشترك الأتراك[1].

ونتيجة التقارب بادر الحاكم الإسباني[2] لوهران سنة1555م فأرسل إلى فاس وفدا يتكون من ثلاثة أشخاص جاؤوا للاتفاق مع محمد الشيخ حول تهيؤ حملة مشتركة إسبانية مغربية ضد الأتراك.

وقد قام العثمانيون بأول رد فعل على التقارب السعدي الإسباني إذ شددوا الحصار على وهران باعتبار حاكمها الإسباني أداة الاتصال بين فاس ومدريد إلا أن هذا فشل نتيجة للنجدات المتواصلة. التي كانت تبعثها إسبانيا للمدينة المحاصرة.

وعليه فقد تم منح حاكم وهران الإسباني "الصلاحيات" لعقد إتفاقية هدنة مع مبعوث محمد الشيخ من شأنها أن تكفيه الواجهة الشرقية للاهتمام بشؤون مملكته ورد الخطر عنها[3].

وعلى اثر هذا أرسل الأتراك إلى الشيخ محمد يدعونه بالمساعدة لمحاربة المسيحيين شرط أن يعترف بالسيادة وهذا ما يذكره المؤرخ المجهول في كتابه لكن نجد أن محمد الشيخ قد رفض ذلك وقد ازداد تقارب المغرب من الإسبان خاصة بعد اغتيال الأتراك لمحمد الشيخ وقد انتهجابنه عبد الله الغالب نفس سياسة والده ويتجلى ذلك في نقطتين أولهما احتلال بادس[4] سنة أربع وستين من العاشر ومنحها للإسبان[5]باعتبارها عمارة أهل الجزائر والترك وإدراك الإسبان أهميتها الإستراتيجية

---

[1] محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن16** ، مرجع سابق، ص90.

[2] الكونت كوديت الاسباني والذي بعث برسالة إلى فيليب ابن الإمبراطور شارلكان وممثلة بتاريخ 29 أوت 1555 والتي يطلب فيها التفاوض مع الشريف انظر:عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج 8، ص133.

[3]عبد الهادي التازي، المرجع السابق ، ج2، ص133.

[4]محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن16**، مرجع سابق، ص 91.

[5]بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19**، ج 1، تحقيق:يحي بو عزيز، دار الغرب الإسلامي، (دت) ، ص 91.

لأنها أقرب نقطة "لجبل طارق" وكانت مصدر قلق إذ كانت مقرا لمجاهدين البحريين الذين كانوا يلحقون خسائر فادحة بالسفن التجارية الإسباني[1].

ب- علاقة السعديين بالبرتغال:

كانت بداية العلاقات منذ سيطرة دون جوان الثاني على آسفيو آزمور سنة 1481م.

لقد كانت دولة البرتغال تعد إحدى أخطر القوى الصليبية المعادية للإسلام فقد كان احتلال البرتغال لكثير من المدن الساحلية المغربية فرصة عظيمة لحمل السلاح والجهاد ضد العدو ونصح الناس من أجل التضامن لمواجهة الخطر المسيحي وهو ما قام به أول الإشراف السعديين " أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله " (915هـ ـ 923هـ / 1510م ـ 1517م) باستلائه على حصن " فونتي " سنة 917هـ / 1511م[2] لقد ضل السعديين يواجهون الوجود الأجنبي فقد نجح أحمد الأعرج[(3)]923هـ ـ 946هـ / 1517م ـ 1540م أن يحرر آسفيبعد أن حاصرها مرات عديدة ليتم فتحها بعد دخول السعديين لمراكش 936هـ / 1530م لكن فيما بعد إستغل الهدنة التي عقدها مع البرتغاليين سنة 544هـ / 1537م استطاع منها أن يبسط نفوذه على الكثير من المناطق في الجنوب كدرعة، لكن الخلاف الذي وقع بينه وبين أخيه محمد الشيخ دفع بهذا الأخير أن ينقلب عليه 951هـ / 1544م[4].

---

[1] محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن 16**، مرجع سابق، ص91.

[2] جلول بن قومار، **معركة وادي المخازن و أثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوربا 1578** ، مذكرة ماجستر، غرداية، 2010-2011، ص 49

[3] أبو العباس أحمد الأعرج :ولد سنة 891ه-1486م وبويع واليا للعهد سنة 918هـ وكان أول عمل قام به تعبئة المغاربة ضد النصارى توفي يوم الخميس 24محرم 964هـ1557م أنظر: أحمد إبن القاضي، لفظ الفرائد من لفاظة حقق الفوائد ، تحقيق: محمد حجي، ج2، ط1، موسوعة أعلام المغرب دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص897.

[4] ديغودي طوريس، مصدر سابق، ص79.

ونجد أن محمد الشيخ[1] في بادئ الأمر أنه قد نجح في طرد البرتغال من أغادير وذلك بعد مساندة الطريقة الجزولية له وإنتصاره على أخيه أحمد الأعرج في معركة واد الكاهرة ونجح في إسترداده لمدينة أصيلا والقصر الصغير عام 955هـ ـ 956هـ / 1549م ـ 1950م وبعدها خلص معظم المدن الساحلية من يد البرتغاليين[2].

لكن وفيما بعد عمل محمد الشيخ على عقد الهدنة مع البرتغال وتمت هذه بواسطة حاكم " مازكان" لمدة ستة أشهر وذلك في مطلع سنة962ه/1555م وهذا التقارب يتضح في الرسالة التي وجهها الملك جان الثالث إلى ضابط مازكان البرتغالي ألفاكو دو كرفال Alvoco decarvalh وذلك في شهر يونييه 1545 م تلقى جوابا على الطلب الذي تقدم به من أجل مده بقوات عسكرية لمواجهة الأتراك[3]أما العلاقة في عهد عبد الله بن محمد الشيخ الغالب السعدي 964هـ 981هـ / 1557م ـ 1574م فنجد أنه قد سار على نهج والده الذي تمت مبايعته من طرف أهل فاس وقد بدأ الغالب عهده بالإنتقام من الأتراك لقتلهم أبيه وقد كان حريصا على علاقات التقارب تلك مع البرتغاليين وعدم الدخول معهم في القتال[4].

بحيث إذا عدنا لفترة المتوكل تبدأ من 982هـ ـ 986هـ / 1574م ـ 1578م وهي فترة قصيرة خاصة بعد المعارضة التي تلقاها من طرف عميه المنصور وعبد الملك الذين عملا على الاستنجاد بالأتراك لإستعادة الملك لصالحهما وهذا ما زاد الأمر سوءا لكثرة الصراع والأمر الذي دعى المتوكل 986هـ / 1578م الاستنجاد أو طلب المساعدة من البرتغال الذي زادهم هذا طمعا في السيطرة على المغرب لكن نجد أن الأمر تغير وكانت نهايته في المعركة أو الغزوة الكبرى[5].

---

[1] محمد الشيخ كانت ولادته 896هـ/ ويلقب بالشيخ وبآمغار وهو الشيخ بالبربرية ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي، لقبه به غير واحد من أئمة عصره ونشأ وصيانة وعني بالعلم في صغره، وتلق بأهدابه فأخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ فيه إلى درجة الرسوخ أنظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج5، ص19.

[2] فؤاد دياب، **كتب سياسية المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر**، مجموعة عربية، (د.ت)، ص110.

[3] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص83.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص 142، 143.

[5] نفسه، ص 163.

وبعد انتقال الحكم إلى أبو مروان عبد الله، الملك السعدي[1] 984هـ ـ 986هـ / 1576م ـ 1578م وتزايد القوة البحرية لعبد الملك الأمر الذي جعل ملك البرتغال " سبستيان " لم يطمئن لهذا وسارع بالترحيب بعرض محمد المتوكل الذي جاءه في شوال 985هـ / ديسمبر 1577م بطلب مساعدته على استرجاع ملكه من عمه عبد الملك ونجد أن المتوكل قد وعد الملك البرتغالي بأن يتخلى على بعض الأراضي الزراعية إلى غاية المعركة الفاصلة سنة 1578م[2].

إن الاحتلال البرتغالي في البداية لسبتة قد أغراهم ذلك لاحتلال المغرب الأقصى كله وذلك لاكتسابهم ثروة كبيرة من مصادرها من الكثير من مستعمراتها فقد ربحت سواء في آسيا أو إفريقيا وتوجهت أنظارها إلى الأعماق من أجل السيطرة على شواطئ المغرب الأقصى وهذا ما اعتبره السعديين بالأمر الكبير الذي وقع على كاهلهم وهو مهمة جهاد البرتغاليين الذين حالفهم الحظ في وقوف أحد الأشراف السعديين إلى جانبهم[3].

ج- علاقات السعديين مع فرنسا:

لم تكتسي العلاقات في هذا العهد بين فرنسا والبلاط السعدي صفة دبلوماسية على الدوام فقد تناول أحيانا مسألة تبادل الأسرى واستخدام بعض الرعايا الفرنسيين كأطباء أو فنيين بحيث أن العلاقة بين السعديين وفرنسا تعود إلى أيام علي بن يوسف المرابطي[4].

فقد استمرت العلاقة بين الطرفين ففي 1533م أرسل فرانسو الأول إلى أحمد الوطاسي مبعوثا ذا خبرة عسكرية وسياسية وهو الكولونيل " بيير دوبيطون " " Pierredebition"

---

[1] أبو مروان عبد الله الملك السعدي: هو الأمير السعدي الخامس في سلسلة السلاطين السعديين وقائد أعظم انتصار في تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث ولد عام951للهجرة 1541للميلاد، ولقد لقب بلقب الغازي في سبيل الله وقضى معظم فترة حكمه في مطاردة ابن أخيه محمد المتوكل وقد شارك في فتح فاس ومراكش والجزائر ويعتبر أعظم قائد انتصار في تاريخ المغرب انظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص165.

[2] جلول بن قومار، المرجع السابق، ص50.

[3] علي بن إبراهيم الدرورة، مرجع سابق، ص9.

[4] في1138م عقدت مارسيليا مع جمهورية جنوة معاهدة تجارية وهنا نجد أن مرسيليا تعهدت أن تقدم تعويضات لمدة عشر سنوات عن الخسائر قد تحل بهم إذا هم تمكنوا من عقد معاهدة سلمية لصالحهم مع علي بن يوسف على أن يلتزموا بعدم مهاجمة السفن المغاربة إذ اقتربت من إقليمهم، أنظر: إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص99.

وكان معه " إيمون دومولون " الذي سبق له أن زار المغرب الذي وصل بباخرته ورسى بالعرائش فقد كانت محملة بالهدايا للسلطان منها: خمس سلال من الفضة وخمس وأربعون مرآة وخمس ساعات مذهبة وغيرها ثم إلتحق المبعوث الفرنسي بالسلطان في فاس والذي بدوره منحه بعض الإمتيازات كحق جلب الدواب من المغرب والسماح للبواخر الفرنسية بالرسو في شواطئ المغرب والمرور بأمان وقد قدم السلطان إلى فرانسو الأول أيضا بعض الهدايا، لكن أثناء عودة الباخرة الفرنسية واجهتها العواصف وتوجهت نحو شواطئ البرتغال فتم حجز السفير بإعتباره أنه قد حمل للمغاربة العتاد الحربي[1].

إستمرت العلاقة حتى عهد محمد الشيخ حيث أرسل له فرانسو الأول ملك فرنسا " جان باكيلون " [2]« J.Pacquelon »للتفاوض مع محمد الشيخ من أجل تزويده بالمعدن الأبيض " القصدير " في مقابله المعدن الصالح لصنع المدافع ومن ثم تبتدئ المفاوضات بين الطرفين سنة 1555[3] كما تم عقد معاهدة تعاون بين المولى عبد الله الغالب بالله وبين أنطوان دوبوربون[4] سنة 1559م وتتلخص في أن يزود ملك " نافارة " ملك المغرب بجيش قوامه خمس مائة جندي مسلح وبحرس يتألف من ثلاثين من الرماة الذين يسيرون أمام الركب أمير المؤمنين علاوة على المعدات الحربية والأجهزة مقابل أن يتعهد ملك المغرب بنفقات الجيش ويسلم لأمير " نافار "قصر المجاز ومساعدة المراكب التي تضطر للالتجاء للساحل المغربي وتسهيل مهمة تبادل الأسرى.

وقد ذكر عبد الهادي التازي أن نصوص هذه المعاهدة توجد نصوصها كاملة في مجموعة "دوكاستري".

---

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص213.

[2] جان باكيلون jlacquelon وهو تاجر من ليون، في باريس سنة1543وتوفي قبل سنة1557، أنظر عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ج8، ص163.

[3] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج8, ص163.

[4] أنطوان دوبوربون، أحد أفراد الأسرة الحاكمة في فرنسا اعتنق المذهب البروستانتي المعادي للكاثوليك، أنظر: عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ج8 ص167.

كما كان للتاجر الفرنسي " روبير برودي " سنة 1561م دور كبير لصالح العلاقات التجارية بين البلدين الذي أرسله شارل التاسع من أجل التفاهم مع السلطان عبد الله الغالب في شأن إحتكار فرنسا لتصدير النحاس والسكر المغربي.

لكن على غرار ذلك فإن فرنسا خلال القرن 16م لم تكن لها علاقات متميزة مع الأشراف السعديين نظرا لأوضاعها الداخلية المتمثلة في الحروب الدينية بالإضافة إلى ذلك فإن العلاقات كادت أن تستمر بين المغرب وفرنسا بعد 1578م لولا الحدث الخطير الذي أغضب السلطان مولاي زيدان وهو السطو الفرنسي على تراث أبيه.[1]

د- **العلاقات المغربية الإنجليزية:**

لقد كانت العلاقات المغربية الإنجليزية قديمة خاصة بعدما اعتبر الإنجليز أن المغرب يتميز بموقع جغرافي مهم واعتباره مفتاح الطريق إلى إفريقيا وما كانت أرضها تجوده من خيرات وتقدمه من صناعات لم تكن أوربا تعرفها والتي دفعت بإنجلترا أن تدخل ميدان العلاقات والصلات مع المغرب.

وتعود العلاقة إلى العهد الموحدي التي استمرت فكانت تجارتهم مع أوائل السعديين الذين كانوا لا يزالون حركة إسلامية مجاهدة في إقليم السوس بالجنوب لأن التجار الإنجليز كانوا سيترددون على المناطق المغربية جنوب مراكش لشراء منتوجات السكر وملح البارود وفي هذه الأثناء توجه الإنجليزي " توماس ويندام " بباخرته المحملة بالأسلحة التي كان يحتاجها المغاربة لطرد البرتغاليين وباعها لهم خرقا لقوانين " البابا " التي كانت تنص على عدم بيع الأسلحة للمسلمين[2] فكان يتم تبادل السكر والتمر والذهب بالأسلحة[3]. وهذا ما مكن السعديين من إسترجاع أغادير

---

[1] عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 167-170-177

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج6، ص312.

[3] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج8، ص189.

عام 948هـ / 1541م وغيرها من المستعمرات البرتغالية ولكن البرتغاليين عملوا جاهدا على الضغط على الملكة "إليزابيث"[1] 1562م ـ 1576م بوقف التجارة لكن الملكة رفضت ذلك

لقد سار أبو عبد الله الغالب على نهج والده في تطوير العلاقة مع الإنجليز. ففي سنة 977هـ / 1569م قام بإرسال رسالة للملكة إليزابيث طالبا منها دوام العلاقات التجارية وإستعداد المغرب لفتح الثغور أمام السفن الإنجليزية، كما اتخذ المتوكل نفس الشيء وطالب إنجلترا بالسلاح وذلك لصد الخطر العثماني ومقاومة عميه وإستطاع عبد الملك من الحصول على الخشب الإنجليزي لبناء الأسطول المغربي وكذلك السلاح اللازم لقواته من إنجلترا ولكن إنجلترا كانت في ذلك الوقت بأمس الحاجة إلى ملح البارود لصناعة الأسلحة إلى غاية الأشهر القليلة قبل المعركة الكبرى 1578م وصل السفير الإنجليزي لمراكش وهو " أدمون هوجان " بسفينة محملة بالمدافع الثقيلة وأنواع متعددة من البنادق والذخائر وعادة لبلادها بالذهب[2] غير أن عبد الهادي التازي يذكر أن الملكة إليزابيث أرسلت سفيرها إلى عبد الملك السعدي تطلب منها إمتيازات تجارية وتقديم الشكوى ضد تصرفات التجار اليهود الذين أساؤوا معاملة التجار الإنجليز[3].

ه- علاقات المغرب الأقصى مع الباب العالي أو الأتراك:

علاقات الأتراك مع السعديين تعود إلى العقد الرابع من القرن العاشر هجري/ العقد الثالث من القرن السادس عشر ميلادي أي لعهد محمد القائم بأمر الله. حيث تشير وثيقة برتغالية وهذا حسب ما ذكره عمار بن خروف في كتابه العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر إلى وجود أتراك عثمانيين في صفوف السعديين منذ 935هـ / 1529م ومشاركتهم في حصار سانتاكروز في 948هـ / 1541م كما تشير وثيقة أخرى، حسب قوله إلى أن الشريف أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله كانت له اتصالات مع الأتراك العثمانيين مما جعل البرتغاليين يتخوفون من هذه الاتصالات ومن تزايد قوته ونفوذه وهذا ما دعى البرتغاليون لعقد اتفاق لأطول مدة ممكنة

---

[1] إليزابيث الأولى ملكة انجلترا تولت العرش سنة 1558وحكمت بلادها 45 سنة كان من أهم ما حدث خلاله ظهور بريطانيا كقوة بحرية تنافس الاسبان والبرتغاليين، أنظر:جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 55.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج6، ص 314.

[3] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج8، ص 190.

كاتفاق944هـ/1537م الذي عقد لمدة ثلاث سنوات خوفا من التقارب العثماني السعدي وازدادت مخاوفهم بقيام التعاون الجزائري تركي مغربي سعدي كبير ضدهم بعد أن لاحظوا تزايد قوات السعديين بفضل المساعدات التركية العثمانية[1] ونجد أن العلاقات كانت طيبة في عهد أحمد الأعرج لأن نفوذ السعديين في عهده كان منحصرا في جنوب المغرب لكن هذه العلاقات تغيرت في عهد محمد الشيخ 951هـ ـ 964هـ / 1544م ـ 1557م الذي إمتد نفوذه إلى الشمال وشمال مملكة فاس وذلك بعدما رفض الإمتثال لأوامر السلطان العثماني بعدم إطلاق صراح السلطان أحمد الوطاسي الذي وقع أسيرا لديه 956هـ / 1545م[2].

إن العلاقات بين الطرفين زادت تذبذبا بسبب مسألة الخلافة عند السعديين فقد عارضوا بني عثمان بحمل لقب خليفة المسلمين خاصة أننا نعرف أن الجزائر أصبحت ولاية عثمانية منذ 925هـ / 1519م، فقد ظهر موقعهم في فترة حكم محمد الشيخ السعدي 946هـ / 1539م الذي رفض فكرة التبعية للدولة العثمانية[3]. وإعتبار سلاطين بني عثمان أعاجم وان الشرافة في مراكش يجب أن تكون للسعديين[4].

وقد كان للسلاطين العثمانيين لحكام المغرب الأقصى أيضا نظرة متبادلة وإعتبارهم مجرد " شيوخ قبائل " وزاد ذلك بعد الخطاب الذي أرسله السلطان سليمان إلى سلاطين مراكش 954هـ / 1548م، الذي دخل على المهدي دون إستئذان فغضب المهدي من تصرف السفير وكذلك أزعجه الخطاب المرسل وخاصة عند مناداته " بشيخ العرب "[5] ومطالبته بدفع تعويضات الأمر الذي إستفز المهدي وفكر بالذهاب لمصر وطرد الأتراك منها ، وهو الأمر الذي زاد السلطان

---

[1] عمار بن خروف، **العلاقات السياسية** ....،، ج2مرجع سابق، ص144.

[2] نفسه، ص146.

[3] فهد بن محمد السويكت، **موقف الأشراف السعديين من مسألة الخلافة**، في مجلة جامعة الملك سعود، العدد19، كلية الأدب، الرياض، 2006، ص117.

[4] عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص64.

[5] محمد الصغير بن الحاج الأفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق : هوداس، باريس، 1889، ص79.

غضبا وطلب من ولديه القدوم لمواجهة القصر الكبير لتأديب الملك المهدي بعد أن أوشك على قتل رسول السلطان العثماني[1].

وقد كان الملوك السعديون يرفضون كذلك كل التبعية للدولة العثمانية ويتضح ذلك جليا في طلبهم المساعدة من العنصر المسيحي بدلا من انضمامهم للدولة العلية، فنجد أنهم قاموا بعدة إصطدامات مع الدولة الجزائرية المجاورة لهم وذلك لاعتبارها تابعة للباب العالي. فقد نظموا ثلاث حملات على تلمسان سنة 959هـ ـ 951هـ / 1550م ـ 1551م والثانية 962هـ ـ 964هـ / 1555م ـ 1557م والثالثة كانت 967هـ / 1560م وذلك رفضا لأي عمل ستقوم بها الدولة العثمانية لضم المغرب[2].

ويتضح أنه بعد إصرار " محمد الشيخ " على عدم الاعتراف بخلافة العثمانيين وإصرار السلاطين السعديين بعدم الإنضمام للباب العالي وهذا ما جعل حسن بن خير الدين يرسل أحد ضباطه وهو " صالح كاهية "[3] إلى المغرب على أنه فار من الجيش التركي[4] فقبل محمد الشيخ به وأدخله ضمن جيشه ونجد أن هذا الأخير قد نجح في اغتيال محمد الشيخ 1557م وهذا ما زاد الأمر سوءا بحيث أصبح سلاطين المغرب لا يطمئنون أبدا إلى نوايا الأتراك العثمانيين، غير أن شوقي عطا الله الجمل يذكر في كتابه المغرب العربي في العصر الحديث أن قد حل بالمغرب[5] بضعة عشر رجلا من ضباط الجيش التركي بالجزائر ادعوا بأنهم ضاقوا ذرعا بحياتهم بالجيش العثماني فضمهم " أبي عبد الله الشيخ " وأصبحوا موضع ثقة يبعث بهم برسائله إلى القواد والأمراء ... وحدث أن كان الحاكم المغربي في إحدى تحركاته بجبل درن في موضع يقال له " أكلكال "

---

[1] عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص177.

[2] عمار بن خروف، **العلاقات السياسية .....س**، ج2, مرجع سابق، ص141-161-178.

[3] كاهية: هي لفظ تركي معناه رب الدار ويطلق أيضا على المعاون الأول لآغا الإنكشارية، أنظر: جلول بن قومار، مرجع سابق، ص54.

[4] نفسه، ص 54.

[5] شوقي عطاالله الجمل، **المغرب العربي في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، المصرية، القاهرة، 1977، ص172.

بالقرب من تارودانت وكان نائما فاستيقظ الضباط والجنود في يوم الأربعاء 29 ذي الحجة عام 964هـ/1557م ليسمعوا النبأ ويذكر أنه قد تم نقل رأسه فعلق في باب القلعة[1].

[1] عمار بن خروف، **العلاقات السياسية** .....، ج2، مرجع سابق، ص147.

الفصل الثاني
معركة وادي المخازن

1- الأسباب :

أ- انهزام العثمانيين في معركة ليبانتو1571م:

كانت معركة ليبانتو إحدى المعارك التي استطاعت فيها القوات الأوربية والرابطة المقدسة مجتمعتين تحت لواء "طجوان " النمساوي في فجر السابع من أكتوبر سنة 979هـ/1571م من إلحاق هزيمة كبيرة بالأسطول العثماني.[1]

الذي كان تحت إمرة "الحاج علي "

وقد اكسب هذا الانتصار الكاسح الأوربيين المتحالفين ثقة بالنفس وقوة في العزيمة فاخذوا يتطلعون إلى تحقيق انتصارات أقوى عملا بقاعدتهم التي تنص على " ... أن ما استأثر به الصليب واغتصبه من الهلال لا يرد وان كل ما حازه الهلال أو ضمه إليه واخذ منهم تتحتم إعادته .... " وهو ما أسموه سياسة الاسترداد .[2]

وقد احتذى البرتغاليون بنظرائهم الأوربيين لما حققوه من نصر على الأتراك العثمانيين في "ليبانتو" مولين أنظارهم إلى المغرب الأقصى وإفريقيا.

ب- النزاع على الملك:

لم يتمكن المتوكل من أن ينعم بحياة الملك فقد اتحد ضده خصمان عنيدان هما عماه عبد الملك واحمد حيث لم يمكث في الحكم إلا عاما وتسعة أشهر فقد غضب عماه وتوجها إلى السلطان العثماني بالقسطنطينية يطلب منه عبد الملك أن يمده بقوة من الجيش حتى يأخذ بها ملك أبيه الذي أخذه ابن أخيه محمد المتوكل بصفته الأكبر سنا منه[3] كما تقضي العادة في البلاط

---

[1] معركة ليبانتو :كانت هذه المعركة بالقرب من لنبتة واشتبكت فيها القوات العثمانية مع الأساطيل المسيحية مدة ثلاث ساعات انتهت المعارك بانتصار المسيحيين فغنموا 130 سف ينة عثمانية وأحرقت وأغرقت 94 وغنموا 3000 مدفعا وأسروا 30 ألف وكان لهذا النصر فرحة عارمة في كامل أوربا. انظر: فريد بك المحامي **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ط03، مكتبة الآداب القاهرة، 2007 ص 111.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط8، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص98.

[3] عبد الرحمن بن عبدا لله بن عمران بن عامر السعدي، **تاريخ السودان**، مطبعة هوداس المكتبة الأمريكية والشرق، باريس، 1981 ص208.

السعدي فاتصل بالسلطان العثماني الذي طلب منهم الاتصال بحاكم الجزائر لتحقيق مرادهم بعدما حسم الصراع على تونس لصالح العثمانيين .

فزودهما حاكم الجزائر بقوة عسكرية قدرت بخمسة ألاف من الأتراك وألف من الـــزواويين وثمانمائة من الصبايحية وتسعة ألاف فارس واثنتا عشر مدفع [1]على أن يتكفل الأميران المغربيان بدفع تكاليف الحملة للأتراك بعد انتصارهما والمقدرة 200000مثقال ذهبي و10000مثقال ذهبي عـــن كل يوم تستغرقه الحملة [2] .

كانت قوات محمد المتوكل تناهز 30 ألف فارس مغربي ومثلها من المشاة منهم ثلاثة ألاف من البنادق النارية والعلوج والأندلسيين وعدد كبير من المدافع حتى الأندلسيين يكاتبون المولى عبد الملك سرا لكرههم لعبد الله الغالب وابنه المتوكل بسبب خذلهم لهـــم فـــأظهروا لـــه العـــداوة والبغضاء[3]ومن هذه المواجهات نذكر :

-موقعة الركن في 8 ذو الحجة 983هـــ / 9 مارس 1576م :

عندما وصل عبد الملك رفقة جند الترك إلى الموضع المعروف " بالركن" من أحـــواز فـــاس خرج إليه ابن أخيه المتوكل للقائه فالتقى الجمعان واشتد القتال، وإذا بقائد الأندلس سعيد الرغالي ينعطف بجيشه ملتحقا بجيش عبد الملك، وفي خضم المعركة علم المتوكـــل أن القائـــد جرمـــون و"أولاد عمران " تخلو عنه فجزع المتوكل وانهزم جمعه وتفرقت محلته وتوجه فارا صوب فـــاس، حيث التحق به القائد بن شقراء بوادي النجاة على مقربة من فاس ولامه على عدم التأني والتثبت، وكان أمر له قدرا مقدورا وهنا دخل أبو مروان فاس واستولى عليها وبايعه أهلها وأقام بها أياما ثم قرر مواصلة ملاحقة ابن أخيه [4].

---

[1]-Fray Diego de Haedo (**Histoire des rois d'Alger** tr HDes Grammont alger 1881 p 161.

[2]أبو القاسم بن أحمد بن علي بن أحمد الزياني، مصدر سابق،ص353.

[3] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الســـقوط**، ط01، مؤسســـة اقـــرأ للنشـــر والتوزيـــع والترجمة،2005، ص 236

[4]أبو العباس احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج5، ص64 .

-موقعة خندق الريحان في ربيع الثاني 984هـ / جويلية1576:

فر مولاي محمد إلى مراكش فجند جنودا من أهلها، وأرسل إلى أهل سوس وأعطاهم الأموال الكثيرة، ثم خرج بهم إلى ملاقاة عمه مولاي عبد الملك حيث التقى الفريقان في وادي الريحان ويسمى اليوم وادي شراط، فاقتتل قتالا عنيفا، ودارت دائرة الحرب على مولاي محمد وانهزم وأهل مراكش تاركين عتادهم وعدتهم وكثيرا من الغنائم وتوجهوا إلى جبل سوس حيث واصل مولاي عبد الملك وجيشه ملاحقته .[1]

-موقعة تتزرت 984هـ / 1576 م :

كلف عبد الملك أخاه احمد بمطاردة ابن أخيه محمد المتوكل وتعقب أثره فاشتبك معه في عدة مواقع منها موقعة " تتزرت " [2] حيث كان النصر لأحمد المنصور رغم قلة عدته وعتاده إذ قدرت قواته بما يناهز 1300 مقاتل بينما بلغت قوات ابن أخيه المتوكل حوالي 60 ألف فاشتد القتال بين الطرفين إلا أن المتوكل لم يستطع الصمود والمواصلة وانهزم المتوكل حيث بلغت خسائره 4 ألاف قتيل، وتلتها هزيمة أخرى للمتوكل في موقعة أساطس، وقام احمد المنصور بإبعاد مجموعة من جند الترك بعد إحساسه منهم ميلهم للانضمام إلى جيش المتوكل .[3]

ج- **العجز الاقتصادي للبرتغال :**

توج الملك البرتغالي جان الثالث حاكما في عام 937 هـ/1531م وكانت الحروب قد استنزفت الكثير من موارد البرتغال البشرية والمالية [4]، نتيجة توسع مستعمراتها في المغرب والخليج العربي، مما جعل خزانة المملكة لا تقدر على تحمل مصاريف المعارك التي تخوضها من اجل السيطرة على الثغور المحتلة وازدادت الظروف الاقتصادية سوءا، وتدهورت أحوال البلاد في ظل حكم الملكة " كاترينا " زوجة جان الثالث التي تولت حكم البرتغال من جويلية 1557 م إلى ديسمبر 1559 حيث انتابها القلق على مستقبل المملكة التي لا يتجاوز عدد سكانها مليون ونصف المليون

---

[1] مجهول، مصدر سابق، ص53 .

[2] تتزرت: ذكرها باسم تنصر وهي مدينة بين فاس وجبال غمارة، انظر: الحسن الوزاني، مصدر سابق، ج1، ص 308.

[3] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق :عبد الكريم كريم ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، الرباط، (د. ت)، ص 32 .

[4] محمد الصغير الأفراني، مصدر سابق، ص 69 .

نسمة، وأمام الأخطار التي تهددها بسبب مشاكلها الاقتصادية والضغوطات الخارجية لم يكن للشراء السريع والمفاجئ القادم من البرازيل واسيا وتدفق الذهب والفضة اثر يذكر على الشعب البرتغالي، نظرا لانتشار التهاون وانعدام المسؤولية، الأمر الذي أدى إلى إفقار البلاد وتوقف الفلاحون عن حراثة الأرض كما خسر النبلاء صفاة المحاربين وضعف الأشداء وتلاشوا في متاهات الترف يتنافسون ويتزاحمون وتم تسويق الذهب وتهريبه إلى أسواق ايطاليا وألمانيا، أما خارجيا فقد أصبحت المراكب البرتغالية غنيمة للقراصنة يضربونها عند المنابع الأساسية لتجارتها في البرازيل واسيا زادها سوءا المخاوف و المشاكل التي تعاقبت وظهرت للعيان عندما طرأت مشكلة ولاية العرش بعد الملكة كاترينا .[1]

وبما أن التوسع الذي شهدته البرتغال في الخليج العربي والهند وغيرها تسبب لها في مصاريف مالية ضخمة بسبب تمونيها لحروبها في الشرق [2]جعل حزانتها عاجزة عن تلبية ذلك.

بالإضافة إلى قلة سكان المملكة مما اظهر لديها مشكلة تجنيد المقاتلين للقتال في الثغور والمناطق التي سيطرت عليها هذه المملكة.

كما ظهرت المنافسة البريطانية القوية محاولة الوصول إلى ثروات الشرق من توابل وذهب وعطور وغيرها والتي كانت تحتكرها دولة البرتغال حيث سعى الانجليز لانتزاعها منها وذلك بالتعاون مع أعدائها العرب والمسلمين .[3]

د- **فقدان البرتغال لبعض مستعمراتها في عهد الملك يوحنا الثالث(1521/1557م):**

بعد أن ذاقت البرتغال نشوة الانتصار على المغاربة في ظل أوضاعهم السياسية والاقتصادية الصعبة، احتلت خلالها معظم شواطئ المغرب في البدايات الأولى لحملات الجيش البرتغالي إلا أنها لم تنعم بالراحة وقد بثت هذه الحملات البرتغالية روح النضال لدى الشعب[4] وراح المغاربة يشنون هجمات قوية على الثغور ساعدهم في ذلك قيام الدولة السعدية التي ساندت الحركات الجهادية

---

[1] يونس نكروف، **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة**، تعريب وفاء موسى، وحسن حيدر ط 01، عويدات، بيروت، (د.ت)، ص 26 .

[2] أبو فارس العزيز الفشتالي، مصدر سابق، ص32 .

[3] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 66

[4] نفسه ص 36

وجعلت من أهدافها تحرير المدن كأغادير سنة 948هـ/1541م واضطر البرتغاليون لإخلاء آسفي سنة 952هـ/1545م ثم أصيلا سنة 956هـ/1549م والقصر الصغير سنة 957هـ/ 1550م و لم يبقى بيد البرتغال إلا طنجة وسبتة في الشمال والجديدة في الجنوب .[1]

ورغم هذه الانكسارات المتتالية التي مني بها الجيش البرتغالي إلا أن الرهبان أشاد ببطولات الجيش البرتغالي لرفع معنوياته رغبة في مواصلة التوسع على حساب المغرب [2] لكن الأوضاع التي تمر بها البرتغال كانت جد صعبة وأصبح من الصعب التمسك بالكثير من الثغور لصعوبة حمايتها والتي تعود إلى الأسباب التالية .[3]

أ) لم تكن للبرتغاليين خطة مرسومة في سياستهم تجاه المسلمين الذين كانوا من الطبيعي أن يسترجعوا ثغورهم خاصة بعد تحسن الوضع الداخلي للمغرب في ظل وجود سلطة قوية تسعى إلى تصفية الوجود الأجنبي في سواحل المغرب .[4]

ب) انعزال الثغور المحتلة من طرف البرتغال وصعوبة اتصالها مع العاصمة لشبونة .

ج) لم تكن لهذه المستعمرات البرتغالية في المغرب جهة مسؤولة واحدة بيدها القرار فمثلا عندما حاصر المغاربة سانتا كروز سنة 548هـ/1541م سعى القائد gutare de monroy مدة طويلة ينتظر المعونة هذه الخسائر التي منيت بها البرتغال قد أوجدت أصواتا تنادي بضرورة العودة للمغرب لأنها مسالة دينية.

---

[1] سعيد أعراب، **موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب**، في مجلة دعوة الحق، عدد 8، المغرب ،أوت، 1978، ص 90 .

[2] نفسه، ص 90 .

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 36 .

[4] نفسه، ص 36 .

ه- تحرشات الدون سيبستيان بالمغرب قبل معركة وادي المخازن 1578م:

أشرك فليب الثاني ملك اسبانيا سيبستيان[1] بدافع من حماسه الديني في معركة احتلال جزيرة بادس الثانية خوفا من أن يتخذها الأتراك قاعدة لعملياتهم لذا قام البرتغاليون لمساعدة الأسبان باحتلال بادس1563 بعدما كانت بيدهم سنة 1508 م .

كما حرص على اصطحابه لإخماد ثورة المورسكيين عام 1568م، التي ألهبت حماس ملك البرتغال الصغير وزادت فيه ضغائن الكره والحقد للمسلمين الكفار كما يعتقد .

توج الدون سيبستيان عند بلوغة سن الرشد ملكا على البرتغال سنة 975هـ/1568م

على سائر أنحاء الإمبراطورية البرتغالية تحت اسم جلالة الملك الدون سيبستيان الأول وهو في السن الرابعة عشر من عمره خلفا لجدته الضونا كاترينا، فبدأ بتنظيم الجيوش وعدادها وانتشر خبر الحملة العسكرية المقررة على طنجة بسرعة في المملكة، في أن أخبارها وصلت للمغرب فاتخذ السلطان عبد الله الغالب احتياطاته واستعداداته العسكرية لمواجهة هذه الحملة معتقدا أن الملك البرتغالي ينوي الإستلاء على ميناء أغادير [(2)] فأمر ببناء حصن على الجبل القريب من المدينة لحراسة الميناء والتصدي لأي هجوم مرتقب.

أحدث نبأ الحملة اضطرابا في أوساط الشعب البرتغالي الذي لم يكن مستعد بعد لمثل هذه المغامرات مع ملكه الجديد وصغر سنه فهو لم يتجاوز 17 سنة من عمره وكذا قلة خبرته وتجربته. وقراره هذا فيه مجازفة خطيرة [(3)]فقرر الأعيان النبلاء مكاتبته للعدو على مشروعه ويتفطن لمخاطره.

تلقى الملك رفض كبير من رجال بلاطه وطالبوه بالتراجع عن مشروعه لغزو المغرب انزعج الملك من هذه التوسلات ورفض الإنصات للحكمة والعقل لنقص تجربته وفضل الاندفاع وراء أحلامه دون حساب منه للعواقب وتشبث بمشروعه في احتلال المغرب بدافع عصبيته وحقده

---

[1]ولد الدون سيبستيان ولي عرش البرتغال 20جانفي 1554، تولى عرش المملكة البرتغالية وهو في سن الرابعة عشر، توفي في معركة وادي المخازن 1578،أنظر:جلول بن قومار، مرجع سابق، ص63.

[2]ديقو دي طوريس، مصدر سابق، ص 234.

[3]Leongodard،description et histoir du maroc،editeur librairie pour lartmilitair et les sciences ، s،d،paris،p47

للعرب والمسلمين . في ظل ظروف تحضير ملك البرتغال لحملته على طنجة توفي السلطان عبد الله الغالب في الأول من شوال 982هـ/1574م والذي حكم 18 سنة [1] تولى بعده ابنه محمد المتوكل الذي أساء السيرة في الرعية وبات مكروها من طرف شعبه، فوصلت أخبار العاهل المغربي الجديد وشهرته السيئة إلى الملك سيبستيان فهلل لقراءة التعليقات والأخبار والمبالغ فيها أحيانا والتي كان يوصلها إليه حكام سبتة وطنجة ومن أقوالهم " أن المملكة الشريفة تثور على حاكمها الطاغية كما وصفوه، وهذا ما زاد إصرار الملك على حرب المسلمين وتنفيذا لمشروعه عين ابن عمها لدون طونيوا حاكما على طنجة في 17 أو تذهب الملك وبرفقته رجل واحد فقط متنكرا إلى مرفأ كاسكاس

ومن هناك استقل مركبا إلى سبتة ثم وصل إلى طنجة حيث وجد ابن عمه الدون أنطونيو في استقباله [2]قرر الملك أن يخوض تجربة القتال فخرج من حصن طنجة، متوجها إلى أصيلا والعرايش، متوغلا بجيشه داخل المغرب

فسمع السلطان محمد المتوكل بهذا فأوكل إلى قبيلة غماره[3] بالتصدي لهذا التوغل فاشتبك الطرفان في قتال عنيف، كادأن يهلك فيه الملك سيبستيان .

وقد دارت هذه الموقعة بالرملة (المسماة " بأبي غاص") من فحص طنجة قرب قنطرة عصماء، وذلك يوم الأربعاء 15 جمادى الأول 982هـ/1574م وفي هذه الوقعة استشهد الشيخ أبو المهدي المصباحي .[4]

ورغم فشل هذه المغامرة غير أن الملك البرتغالي ظل يتحين الفرص لتحقيق احتلال المغرب

واصل الملك استعداداته لغزو المغرب فنظم سنة 985هـ/1577م فرقا من الجيش من خيرة شباب لشبونة (وتمويلها بالأموال والأسلحة) لتكون مستعدة للحملة ولأجل إيجاد التموين

---

[1] مجهول، مصدر سابق، ص 42 .

[2] عبد المجيد قدوري، **المغرب واروبا مابين القرنين 15م و 18م** المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء،2000، ص 169.

[3] غماره: إحدى قبائل البربر شمال المغرب (جبال الريف)، وهي فرع من المجموعة القبلية الكبرى محمودة، انقسمت إلى عدد كبير من القبائل تحت أسماء فرعية تعرف بقبائل جباله وهناك بعض الفروع، لازالت تحمل الاسم الأصلي غمارة، انظر، الحسن الوزان مصدر سابق، ج 1، ص 44 .

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج5، ص 50 .

المالي للحملة أقدم على رفع الضرائب على السكان وأجبر اليهود والمسحيين الجدد على دفع أموال كثيرة لتموين الحملة قدرت ب 150 ألف دوكا وإلا تعرضوا للعقاب.

في هذه الظروف والاستعدادات للحرب في المغرب على أشدها.كان هناك جـــوا عامـــا في البرتغال سادت فيه روح الصليبية وقد أعطت للبرتغال، زعامة العالم النصراني سياسيا في غـــرب أوروبا وهنا بدأت البرتغال بالتعاون الصريح مع الكنيسة الكاثولكية للأخذ بيدها ودعم موقفهـــا المتدهور من نجاحات العثمانيين.[1]

و- التقارب الانجليزي مع عبد الملك السعدي:

كانت بداية التقارب مع تولي عبد الملك السعدي عرش الدولة السعدية فالانجليزيين كانوا يسعون إلى مد نفوذهم في المغرب، وإخراج الاسبان والبرتغال للفوز بامتيازات تجارية كاسترادملح البارود، ومقابل أن يلبوا احتياجات عبد الملك السعدي من قنابل ومدافع وأسلحة مختلفـــة، هـــذا التقارب استاءات منه البرتغال واسبانيا وأحدثت المؤن والذخائر التي اخذ التجار الانجليز يحملونها إلى المغرب قلقا كبيرا، عند ملك البرتغال رغم السفارة التي وجهها عبد الملك إلى الملك فليب الثاني في صفر 985هـــ/1575م يعرض فيها صداقته في الوقت الذي بدأ فيه البرتغال الإعـــداد للغـــزو المغرب.

كان عبد الملك مع الانجليز خاصة ومع الأوربيين عامة يسعى من خلاله لتحديث المغـــرب الأقصى وتكوين قوات عسكرية مجهزة تجهيزا جيدا على النمط العثماني .[2]

ولقد حضي الدون سبستيان في مشروعه لغزو المغرب بدعم وتشجيع منطرف خاله فليـــب الثاني

ز- استنجاد محمد المتوكل بالبرتغاليين:

وهنا وجد الملك البرتغالي الدون سبستيان فرصته التي طالما انتظرهـــا لتحيـــق طموحـــه في الإستلاء على المغرب الأقصى وقتال المسلمين، بعدما اشترط المتوكل أن تكون للنصـــارى ســـائر السواحل المغربية وله ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله المتوكل ذلك ولزمه، في هذه الأثناء كان عبد

---

[1]Henri shafer،**Histoire de Portugal tr de L'allmandhennrisoulancebodin Adolphe**،delhays librairie ،paris ،1558 p617

[2]كريم عبد الكريم، مرجع سابق، ص 104 .

الله يتابع الأحداث في البرتغال على كثب ورغبة منه في تدارك الموقف، ودفع الحرب وإعطاء فرصة للسلام بينه وبين ملك البرتغال بعث عبد الملك السعدي إلى الدون سيبستيان رسالة بتاريخ 22جويلية1578م، يعرض له فيها امتيازات اقتصاديةلعل الملك البرتغالي يعدل عن حربه ضد المغرب .[1]

ظن الدون سيبستيان أن العرض السخي لعبد الملك مرده الخوف من مصير أسوأ على ملكه ولذلك أصر على غزو المغرب، وشن حملة صليبية قوية لعلها تخلد اسمه في التاريخ كما خلدت الحروب الصليبية في المشرق أسماء أخرى .[2]

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سابق ج3، ص 98 .

[2] عبد الله العمراني، **معركة القصر الكبير**، في مجلة دعوة الحق ، العدد 1،المغرب، نوفمبر 1964 م ، ص 43 .

2- وقائع المعركة:

وجه الملك سيبستيان خطابا قبل إبحار الحملة إلى نبلاء بلاده يذكرهم بماضي الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الابيرية، وبما كان لأسلافهم في أمجاد في إنهاء هذا الوجود ثم دعا مجموع الأمة إلى حمل السلاح ضد المغاربة لإخضاعهم وكان رد النبلاء على نداء الملك هو أن مشروعه سيصادف صعوبات جمة وان يقاتلوا جيشا واحد ولا ملكا واحدا، وإنما شعبا برمته .

كانت بداية هذه الأحداث[1]

أ- توجه الجيش البرتغالي نحو المغرب:

لقد كان طلب المتوكل المساعدة من الدون " سيبستيان " من الأسباب المباشرة والهامة التي من خلالها سعى جاهدا إلى اغتنام الفرصة بدعوى مساعدة المتوكل على الرغم من أن ملك اسبانيا الذي كان منشغلا بأحداث أوربا الغربية والنزاعات مع بريطانيا أرسل إلى قريبه " الدون سيبستيان " عدة سفارات يحذره من مغبة أعماله، كما أرسل له فليب الثاني إلى لشبونة Don juan desilbaوذلك مارس 1578م ولكن جميع المحاولات باءات بالفشل لان ملك البرتغال مضى في مشروعه للتدخل في المغرب واستعادة نفوذ البرتغال في هذه البلاد وقد واتته الظروف المناسبة عندما جاء المتوكل إلى طنجة، الذي طلب مساعدة لشبونة ضد عمه المعتصم مقابل التنازل للبرتغال على سائر السواحل المغربية وهذا ما ذكرناه سابقا [2].

ونجد خاصة عندما التجأ " عبد الكريم بن تودة " صهر المتوكل إلى طنجة أيضا وتنازل للبرتغال عن أصيلا، فهذان العاملان كان بالنسبة لملك البرتغال سببين كافيين ليتدخل في المغرب سعيا وراء تحقيق الأمنية المنشودة وبدأت بذلك صفحة جديدة في تاريخ المغرب وتاريخ الدولة السعدية بوجه خاص .[3]

أبحرت السفن الصليبية من ميناء لشبونة ،باتجاه المغرب يوم 14 جوان سنة 1578م وأقامت في " لاكوس " بضعة أيام، ثم توجت إلى قادس حيث أقامت أسبوعا كاملا، ثم رست بطنجة في 9

---

[1] إبراهيم حركات،**السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، مرجع سابق، ص 70.

[2] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 103 .

[3] نفسه، ص 103 .

يوليو وفي طنجة وجد سيبستيان بطنجة خليفة المتوكل " المسلوخ " ثم تابعت السفن سيرها إلى أصيلا وأقام " سيبستيان بطنجة يوما واحدا ثم لحق بجيشه يوم العاشر "جويلية "[1]

بقيت قوات الحملة البرتغالية بضواحي أصيلا مابين12 و28جويلية1578م حيث كان المعتصم في هذه الآونة قد عسكر " بسوق الخميس "[(2)] على بعد ستة أميال جنوب وادي القصر الكبير، بعدما وصلت إليه تقارير على ارض العدو تطلعه بتحركات الجيش البرتغالي، وبكل ما يدور في القيادة .[3]

ب- **الجيش البرتغالي:**

وفي هذا الصدد قد بالغت كل المصادر الأجنبية والعربية في تقدير عدد جيوش ومعدات الفريق وهكذا قيل أن مجموع الجيش البرتغالي قد بلغ 125 ألف وقيل مائة ألف كما قيل 60 ألف أو 14 ألف، وكان عدد المدافع للبرتغاليين ستة وثلاثون ألف وهو تقريبا نفس عدد مدافع الجيش المغربي .[4]

ويذكر أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في كتابه مرآة المحاسن يقال :

" أن مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا وأقل ما قيل في عددهم ثمانون ألف مقاتل " .

وهناك من يذكر أن الجيش البرتغالي 125000، مقاتل وما يلزمهم من المعدات مع ألوف الخيل وأكثر من أربعين مدفعا وكان معهم المتوكل بشرذمة تتراوح مابين 300 إلى 600 رجل[5].

أما المراكشي فذكر في كتابه " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي " قال أنهم كان نحو من ستين ألف وقال عدد الكفرة مائة ألف وخمس وعشرون ألف والخمس والعشرون بقيت في السفن والمائة ألف وكان محمد عبد الله [6] نحو ثلاثمائة من أصحابه وكان عدد الأنقاض التي يجرونها

---

[1] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 49–50 .

[2] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 105 .

[3] مجهول، مرجع سابق، ص 61 .

[4] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج 2، مرجع سابق، ص 292 .

[5] ناصر بن محمد الأحمد، **معركة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، العدد8، المغرب، 1578، ص7.

[6] محمد الصغير بن الحاج الافراني، مصدر سابق، ص 74 .

مائتين، وذكر صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية، المجهول أن النصارى كانوا مرتين أضعافا للمغاربة. [1]

إلا أن بعض المصادر ذكرت أن القوات التي تحركت من لشبونة كانت عشرين ألف جندي اسباني ، اثني عشر ألف جندي برتغالي، ألف جندي ايطالي، ثلاثة ألاف جندي ألماني، أربعة ألاف جندي بابوي بعث بهم بابا الفاتيكان إضافة لأعداد كبيرة من متطوعي اسبانيا وانجلترا وقد قدر حجم القوات المشاركة في هذه المعركة بما لا يزيد عن خمسين ألف جندي أوروبي جاءوا جميعا من اجل احتلال المغرب بمصاحبة الملك سبستيان، ويقال كان الجيش البرتغالي مزودا بالأسلحة النارية الحديثة متفوقا في المدفعية ضعيفا بالفرسان ونحو ألف سفينة حربية وكميات هائلة من المؤونة والذخائر[2].

ج- **قوات الجيش المغربي:**

حين ما بلغت مولاي عبد الملك أخبار استعداد الملك البرتغالي لهذه المعركة أرسل له يثنيه عن هذه المغامرة ويبصره بعواقبها ويدعوه لتحكيم العقل وعدم الانصياع لأراء المتهورين من رجال حاشيته وفي نفس الوقت كان احمد المنصور يعبئ الجيش المغربي ويعد العدة الكافية من رجال وعتاد ووجه الحاكم المغربي في هذه الآونة الحاسمة معاونة كاملة من أتباع الحركة الدينية الجزولية ورئيسها في ذلك الوقت " أبي المحاسن يوسف الفاسي". [3]

وكان عبد الملك قد استفز قواته للجهاد وراسل كل البلاد والقبائل المغربية وسارت كل القبائل لإمداد الجيش بالرجال والعتاد والمؤن واتجهت وفود الشعب المغربي إلى القصر الكبير ولحق بالجيش في سلا وجاء جيش فاس بقيادة احمد المنصور و لم يكن من السهل تحديد عدد القوات المغربية المشاركة لأنها كانت تضم أعداد كبيرة من المتطوعين ورجال الطرق الصوفية وقوات الجزائر التركية[4].

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص 61 .

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ج 6، ص 178 .

[3] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 177 .

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 179 .

وذكر المؤرخ مجهول في كتابه الدولة السعدية" أن عدد المسلمين كانوا ستة وثلاثين ألف جندي".

وقد ضم هذا الجيش عناصر من مرتزقة الأتراك والعلوج بالإضافة إلى وحدات أندلسية وعناصر وطنية من البربر والقبائل العربية .[1]

ويقول مانويل كاستياسنوس حسب ما ذكر " عبد الله العمراني " أن كثيرا من المؤرخين يرفعون عدد الجيوش المغربية إلى أزيد من ستين ألف من الفرسان وثلاثين ألفا من المشاة مع أربع وثلاثين ألف مدفع ومتطوعين من جميع أنحاء المغرب ونجد انه حتى العنصر الموريكسي (عرب اسبانيا، ومحاربين آخرين ممن حضروا لأغراض مختلفة [2]

غير أن هناك من يذكر أن عددهم كان :

المغاربة المسلمون 400000، مجاهد، يملكون تفوقا في الخيل .[3]

ثلاثة ألاف من جند الأندلسي (3000)

خمسة وعشرون ألف فارس (25000)

ألف فارس متطوع .[4]

مدافعهم أربعة وثلاثون مدفعا

لكن نجد أن معنوياتهم كانت عالية جدا لثلاث أسباب :

- كانت الصرخة في كل أنحاء المغرب " أن اقصدوا وادي المخازن للجهاد في سبيل الله " و لم يكن عند المسلمين احلي من الاستشهاد فهذه التعبئة الشعبية تتكامل لتكوين جيش ذا معنويات عالية وذا تصميم أكيد على النصر، وزاد الموقف تفاؤلا بالنصر أن القيادة كانت على

---

[1] إبراهيم حركات، **احمد المنصور الذهبي**، مجلة دعوة الحق، عدد 8، السنة 19،الرباط 1978، ص 64 .

[2] عبد الله العمراني، **أمجادنا الوطنية في معركة القصر الكبير**، مجلة دعوة الحق، العدد 1، السنة 19، الرباط، 1964، ص 46.

[3] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 50 .

[4] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 74 .أنظر الملحق رقم (04)، ص87.

مستوى الطموح الشعبي والشعور الوطني والإحساس الإسلامي فاحتشد المغاربة ملبين النداء أطلقه عبد الملك وبداية التجهيز .[1]

عمل المتوكل قبل المعركة بتبرير ما قام به ليشرح للعلماء ما عمله والظروف التي أدت به لطلب العون من النصارى لعله بعد ذلك يستطيع استمالة العلماء لجانبه ضد عمه، فكتب عند خروجه بجيش البرتغال إلى بلاد الإسلام رسالة بعث بها إلى أعيان المغرب وذوي رأيه يغمض عليهم بها في نكث بيعته ونقضها وبايعه عميه من غير موجب شرعي وقال لهم :

"...ما ستصرخت بالنصارى، حتى عدمت النصرة من المسلمين .."

وقالوا له "... انه يجوز للإنسان أن يستعين على من عصبه حق ملكه بكل ما أمكنه .." وقد هددهم المتوكل فيها وابرق وأرعد، وقال "﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] أهل النصارى : أهل العدوة واستنكف من سميتهم نصارى فأجابه علماء الإسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش أباطله واضحة .[3]

وقد فند العلماء مزاعم المتوكل، فأجابه العلماء برسالة شهيرة، أبطلت كل حججه وفندت جميع دعاويه ومن جملة ما قالوا له أن جده الأكبر محمد القائد كان عهده لأولاده أن لا يلي الملك منهم ولا من أولادهم إلا الأكبر فالأكبر، وكان والده الغالب الغي .. ذلك وعهد إليه ولان عاد الحق لمن هوله وهو عمه عبد الله الملك أكبرهم بعد أبيه ،[4] وقالوا له أن تلزمنا نصرتك لو أقمت بيننا ولكنك هربت واستعنت بالنصارى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من المشركين عرض عليه نصرته :أني لا استعين بمشرك وهكذا كانت الرسالة في المستوى الذي لم يبق له عذرا ولا أسفاه من مسؤوليته .[5]

---

[1] إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، مرجع سابق، ص 71 .

[2] سورة البقرة، الآية 279 .

[3] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج5، ص 70 .

[4] عبد الله بن كنون، **عبد الملك المعتصم بطل معركة وادي المخازن**، مجلة المناهل، العدد 13، السنة الخامسة، 1978، ص 13- 14 .

[5] حسن السائح، **العلماء وراء معركة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، عدد 8، المغرب، 1978، ص 84- 88.

وقد رد عليه أيضا العلماء بعد استعانتة بالنصارى، انه اعتقد أن المسلمين كلهم على ظلال وان الحق لم يبق إلا عند النصارى ... وقد افتخرت بجموع الروم وقيامهم معك فاعلم أن هذه الأمة لن تغلب وبذلك رد العلماء المغاربة على المتوكل وما اتهم به أهل المغرب وما قدمه لعله يقنعهم بما قدم لهم والعمل على كسبهم لصفه وذلك لما للعلماء والزوايا في نفوس الرعية.[1]

د- استدراج الملك البرتغالي لعمق المغرب:

عند نزول الجيوش البرتغالية بأصيلا بدأت في مناوشات مع القبائل المجاورة و عبأت قواها لاحتلال العرائش ثم القصر الكبير، فراسله عبد الملك " انه ليس من الشجاعة ولا من روح الفروسية أن تنقض على سكان القرى والمدن التي في طريقك وهم عزل دون سلاح فان كنت نصرانيا حقا فتريث ريثما أقصدك " ولما وصله ذلك رأى انه يعرض ذلك لشرفه لوصمة شنعاء.[2]

وكان عبد الملك الخبير في شؤون الحرب والقتال بعد اشتراكه في العديد من المعارك مع الأتراك في الجزائر ولاسيما معركة تريرتونز من أيديالإسبان سنة 1573م قد أدركأن الحرب النفسية والمراسلات بينه وبين سيبستيان منذ أن وطأت أقدامه المغرب لابد أن تكتشف عن أبعاد جديدة في رؤية هذا الملك الشاب لمسار الحرب .[3]

وبعدها فكر عبد الملك في حيلة جديدة لاستدراجه إلى بساط القصر بالقرب من مكان قيادته حيث تكثر الغدر والوديان فكتب له " أني قطعت للمجيء لك ستة عشر مرحلة(هي المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم وتقدر بـ 42 كلم^2، فهلا قطعت أنت مرحلة واحدة لملاقاتي " .

ـ ويذكر المؤلف مجهول في كتابه تاريخ الدولة السعدية بان المعتصم كتب لملك البرتغال بعد نزوله بأصيل ما نصه " .. أن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى عدوة المسلمين فان أنت تثبت في الساحل إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي وشجاع، وأنت رجعت إلى بلادك وحقرت بعض الرعية قبل أن يقتلك أمير مثلك، فأنت كلب ابن كلب... "[4]

---

[1] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج5، ص 76.

[2] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص 92 .

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص 181 .

[4] مجهول، مصدر سابق، ص 61 .

وبذلك فقد نصحه مستشاروه والمسلوخ معهم أن يبقى بأصيلا حتى تصل الجيوش المغربية ولكن تشوقه للحرب ونخوته الصبيانية جعلته يرفض النصيحة ويأمر بالإقلاع في الحال وبدأت جيوشه بالتحرك يوم الثلاثاء 29جويلية قاصدة القصر الكبير .[1]

ه- نزول الجيش البرتغالي:

استقر الجيش البرتغالي يوم الأحد 3 أوت 1578 على الضفة اليسرى من وادي المخازن غير بعيد عن نهر اللوكس، وقرر سيبستيان جمع مجلسه لمناقشة أمور المعركة فاخبره القائد " جوادو كاستيلمو " و "دييغو دوبلمان " أن الجيش المغربي يزيد عن 70 ألف رجل وانه مشهور بذكائه وقد طلب منه " دوق افيرو " أن يتجنب التهور[2].

وقامت القوات البرتغالية بعبور جسر الوادي فأمر عبد الملك بهدم القنطرة وبهذا فقد نجح الخليفة السعدي في استدراج " دون سيبستيان " وجيشه إلى قلب البلاد المغربية وكانت مكيدة عبد الملك هي المباعدة بين الجيش البرتغالي ومراكز تموينه وكان عبد الملك قد وجه كتيبة من أربعة ألاف جندي من الفرسان بقيادة أخيه احمد المنصور فهدموا القنطرة وحالوا بين العدو وبين العودة وزحف عبد الملك بالجيش إلى معركة القصر الكبير وصار النهر على يمين القوات الإسلامية المغربية[3].

و- الأوضاع قبل المعركة :

لقد نجح " عبد الملك " فعزل عدوه عن أسطوله بمكيدة عظيمة وخطة مدروسة عند استدراجه لملك البرتغال إلى المكان الذي حدد للمعركة .

وفي خضم الساعات الأولى في صبيحة يوم الاثنين 4 أوت 1578، أصيب عبد الملك القائد العام للقوات المغربية بقيء مستمر وإسهال شديد .

وهذا ما أدى إلى انتشار إشاعة انه القائد العام قد أصيب بتسمم وان سما دس له في كعك أعطاه له رضوان العلج .[4]

---

[1] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص 92 .

[2] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 78 .

[3] عبد الفتاح المقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص 183 .

[4] أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 86 .

وقد روى ابن القاضي بقوله " كان سبب وفاة السلطان أبي مروان رحمه الله انه سقي سما وذلك أن قائد الترك، الذين كانوا معه، واسمه " رضوان العلج " بعث إلى بعض قواته أن يتلقوه بكعك مسموم هدية للسلطان المذكور وقت مرورهم عليه وقصد بذلك قتله بعد أخذه مدينة فاس ليثبت لهم ملكها فلم يكمل الله مرادهم لما شاهدوه من عظيم الجيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله .[1]

ز- **تنظيم الجيش المغربي:**

اختلفت المصادر العربية والأجنبية، اختلافا كثيرا حول عدد قوات الجيش فبالنسبة للجيش السعدي فقد تراوح مابين أربعين ألف ومائة عشرة ألاف مجاهد وتفوق في الخيل والمدافع كان عددها حوالي عشرين ألف ومعنوياتهم كانت عالية لسببين :

1-انتصارهم على أعدائهم البرتغاليين بعد انتزاعهم الثغور منهم .

2-إدراكهم أن نتيجة هذه المعركة سوف تقرر مصيرهم ومصير بلادهم " فسيبستيان " يمثل حركة توسع على حساب الإسلام وأراضيه وذكرى سقوط غرناطة حادثة لا تنسى.[2]

وقد جعل عبد الملك المعتصم بالله في المقدمة مدفعيته تليها مباشرة صفوف الرماة المشاة [3] وجعل قيادته في القلب وعلى المجنبتين رماة فرسان والقوى الشعبية المتطوعة، وقام الملك بتحديد وضعية الجيش على الأرض المعركة على شكل هلال مفتوح .[4]

في الركن الأيمن للهلال تركزت قوات مولاي احمد مع ألف من حملة البنادق على ظهور الخيل وفي الركن الشمالي " محمد ررقون " ومعه ألفان من حملة البنادق من القناصين الخبراء وبجانبها حوالي 15 ألف من حملة البنادق يقودها القائدان " دوغالي " و"محمد فانا " وفي وسط الهلال كان يقف الحرس الشخصي للشريف عبد الملك بقيادة القائد "موسى" وفي المؤخرة بقية الخيالة .

---

[1] عبد الله العمراني، أمجادنا الوطنية في معركة القصر الكبير، مرجع سابق، ص 42- 47.

[2] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص 92 .

[3] شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 62 .

[4] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص 93 .

أما الألف فارس من القبائل التي لبت الجهاد فقد وضعهم في مرتفعات الهضاب بالقرب من أخيه لتخوفه وعدم اطمئنانه.

وامتازت خطته بوجود كوكبة احتياطية من الفرسان ستنقض في الوقت المناسب وهي في غاية الراحة لمطاردة فلول البرتغاليين واستثمار النصر[1] .

كما اعتمد على قادة عسكريين منهم : " أبو علي الغوري" "والحسين العلج" "علي بن موسى" وأخوه "احمد بن موسى" وقد وضع المؤرخ fray luis nieto رسما تخطيطيا لوضعية الجيش على الميدان .. وهو كالتالي".

وبعدها أخذت الكتائب أماكنها وصفت الخيل ووجهت أفواه المدافع لكل خصم ينتظر الإشارة ووقف عبد الملك خطيبا في جيشه مذكرا بوعد الله وبآيات قرآنية عادة ما يذكرها في الدقائق الحرجة فقرأ قولهتعالى" ولينصرن الله من نصره إن الله لقوي عزيز "[2]

" يا أيها الذين امنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " [3]

كما ذكر بوجوب الثبات وضرورة النظام وهو يخاطب المرض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] .

وذكر أيضا لأمراء فيها : إن انتصرت الصليبية اليوم فلن تقوم للإسلام بعدها قائمة ثم قرأ آيات كريمة من كتاب الله المجيد بأصوات ندية .[5]

ح- تشكيلة الجيش الأوروبي :

فقد نزل في السهل وكان مشكلا على النمط التالي :

الأسبان والطاليان والألمان وجماعة أخرى يكونون الطليعة، أما القلب فكان يشكله البرتغاليون بقيادة قائدين هما :

---

[1] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 62 .

[2] سورة الحج، الآية 40 .

[3] سورة محمد، الآية 07 .

[4] سورة الأنفال، الآية 15 .

[5] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 64، أنظر الملحق، رقم (05)، ص88.

كانت المؤخرة تتكون من البرتغاليين الذين دخلوا الجندبة جديا أي في أخر دفعة من دفعات التجنيد الإجباري وكان يحميهم ثلاثة مائة من أصحاب البنادق وقطعتان من المدفعية وكانت الراية الملكية محفوفة بالجناح الأيسر الذي ضمنه السفير الاسباني وفرسان آخرون أما الجانب الأيمن من المؤخرة فكان فيه المتوكل مع أتباعه وفي الوسط كانت تتقدم البهائم الموقرة بأحمال المؤونة والذخيرة .[1]

ذ- واقعة وادي المخازن: (ساعة الحسم)

في يوم الاثنين من 986هـ/30 جمادى الأول ل4 أوت 1578 عند الظهر تقابل الجيشان المغربي والبرتغالي قريبا من القصر الكبير على وادي المخازن.[2]

والتي عرفت بمعركة الملوك الثلاثة أو معركة القصر الكبير [3] وحتى معركة الملوك الأربعة[4]

واعتمادا على مادونه وزير المنصور عبد العزيز الفشتالي (في مناهل الصفا) إن المعتصم قد اشتد عليه المرض ليلة المعركة " إلى أن كان من زحف الطاغية إلى وادي المخازن وارجاف الناس بمرض أخي المعتصم ما بلغ به الحزام الطبين فارتبك الأمر وأرعدت سماء الهول وأبرقت بتوالي زحوف العدوتين وأحزاب الملتين إلى اللقاء للغد واضطربت أحوال المسلمين وانحلت عزائم المستضعفين منهم[5]

وعلى الرغم من مرض عبد الله إلا أنه قد واصل صموده لمواجهة الجيش البرتغالي الذي كان على رأسهم القائد الدون سيبستيان وقد كان الجيش البرتغالي هو من بادر بالهجوم وانقضت على الجناح الأيسر للمسلمين انقضاض الصاعقة فظهر منهم ذهول ووهن وعند ذلك بادر عبد الملك وانطلق فاتحا الطريق لجيشه فالتحم الجيشان وتصادمت الجموع .[6]

---

[1] عبد الله العمراني، مرجع سابق، ص 47.

[2] محمد الأمين ومحمد علي الرحمن، **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء،(د.ت)، ص 196، أنظر الملحق، رقم (06)، ص89.

[3] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 105 .

[4] عبد الله كنون،**حول وقعة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، عدد 8، السنة 19، الرباط، 1978، ص 18.

[5] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مصدر سابق، ص 17 .

[6] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 83 .

ونجد أن الطبيب اليهودي الخاص لعبد الملك ذكر عن المعركة بقوله :

" أن الملك أمر بإطلاق نار المدافع التي ألحقت بالنصارى أضرارا كبيرة فرد عليهم النصارى بمدافعهم وفي هذه الإثناء اقترب الجمعان واشتد القتال ونتيجة لتقدم بعض الفيالق من النصارى على يميننا وشمالنا أدى لتراجع بعض المشاة ولكن عندما رأى الملك تراجع جيوشه استوى جواده وامتشق سيفه ثم ارتعش ارتعاشا.

فوجده قد لفظ أنفاسه وسار بسقيه الماء حتى لا يشعر الناس بموته وفي ذلك الوقت كان على يميننا مولاي احمد الذي رد على النصارى بحملة قوية وتم ذلك مرتين أو ثلاثة والتي منها ألحقت خسائر فادحة بالنصارى منهم من قتل ومنهم من اسر لكن مولاي محمد فر مع بعض الفرسان وكان من بينهم " أولاد بن تودة وحموين معيزة " فأرادوا اجتياز النهر فغرق المتوكل الأسود مات ملك البرتغال نتيجة جروحه

أما في الطرف الأخر للنصارى يذكر احد الجنود انه : في الرابع من أوت 1578م قسم ملك البرتغال جيشه إلى أربعة فرق عين الدون أرتوماس Don duertmeesses القائد الأعلى للقوات قيادة الفرقة الأولى، وقيادة المقدمة لفونتغراد vontgard وكان على الميمنة الشريف الأسود وعلى الميسرة الدوق دو فيرو dukedeverou

يذكر أن عبد الملك قد وجه أول هجوم على البرتغال ولكنهم دافعوا عن أنفسهم وأدى ذلك لتراجع جيوش المغاربة فرد الملك عبد الملك والحق بهم هزيمة نكراء وذلك لاستمرار المغاربة في ثباتهم وتفوقهم كاسرين قوى أعدائهم مشتتين شمل البرتغال .

وقد قتل في المعركة ثلاثة ألاف ألماني و700 طلياني و1000 اسباني ويظن أن الملوك الثلاثة قتلوا في هذه المعركة الأخيرة .[1]

وقد ذكر أن رأس ملك البرتغال قد بقي في القصر الكبير بصدد تسليمه على فدية يطلبها المغاربة بمدينتي سبتة، وقد فقد البرتغال اثنين وعشرين قطعة من المدفعية وسبع مائة مركبة إلى جانب أشياء أخرى .[2]

---

[1] محمد بن تاويت، **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن**،مجلة دعوة الحق،العدد8،السنة19،الرباط،1978 ، ص 55.

[2] نفسه، ص 56 .

أما عن مصير المتوكل فقد كان حتفه هو الموت بعد وقعه غريقا في نهر وادي المخازن ووجدت جثته طافية على الماء فسلخ وملئ تبنا وطيف به في أرجاء المغرب حتى تمزق وتفسخ .[1]

ويقول سعيد أعراب في مقاله عن وفاة الملك السعدي عبد الملك انه قد تدهورت صحته وذلك أثر الإجهاد على نفسه وذلك لجعله يعود من مراكش ليلفظ أنفاسه الأخيرة واضعا سبابته على فاهه وكأنه يشير إلى كتم سره وإخفاء موته وأطبق أجفائه وهو موقن بالنصر الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين واخفي رضوان الحاجب موت الملك وظل يتردد على المحفة يبلغ الجند أوامر الخليفة والحرب على أشدها يتطاير أشرارها ويلتهب أوزارها ولكن المنصور علم بوفاة أخيه فرد على العدو فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة وولوا الأدبار فدارت عليهم الدائرة وعملت السيوف على رقابهم .[2]

وهبت على المسلمين ريح النصر وساعدهم النهر وأثمرت ..رماحهم زهور الظفر فولوا المشركين الأدبار ودارت عليهم دائرة البوار وحكمت السيوف في رقابهم ففروا ولا توقتل الطاغية البرتغالي وقصد النصارى القنطرة فلم يجدوا لها اثر فكان ذلك من أكبر الأسباب وأعظم الحبايل في اقتضامهم و لم ينجح من الروم إلا عدد نذرو شرذمة قليلة والبحث في القتلى عن محمد بن عبد الله فوجد غريقا .[3]

أما عن المدة التي جرت فيها المعركة فهي أربع ساعات وثلث ساعة و لم يكن النصر فيها مصادفة بل كان لمعنويات عالية ونفوس شعرت بالمسؤولية ولخطة مدروسة مقررة محكمة فما هي إلا 260 دقيقة ومصير المغرب الأقصى يتقرر للأبد عربيا مسلما .[4]

إن هذه المعركة لم تكن للمحنكين سياسيا وعسكريا فقط بل كان للعلماء دور في المعركة وذلك بتعبئة الناس والنداء للجهاد ومن بين هؤلاء العلماء نذكر:

---

[1] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 67 .

[2] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص 93 .

[3] إبن القاضي أحمد بن محمد المكناسي المراكشي، مصدر سابق، ص 75- 76.

[4] أبو العباس احمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 84 .

" الشيخ أبو المحاسن[1] : " كان الشيخ أبو المحاسن في ذلك اليوم في أحد الجناحين .. الميسرة من عسكر المسلمين في مقابلة النصارى دمرهم الله : فوقع في ذلك انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافيهم وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ، ومن كان معه إلى أن منح الله المسلمين النصر وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون والشيخ لم يتزلزل و لم يلتفت لقتالهم منذ أن توجه لقتالهم حتى فتح الله عليهم ..."

ومن وجد مصرعه بين القتلى حسب ما رواه الناصري يومئذ الفقيه بن عسكر الريفي الشفشاوني .[2]

عندما علم السلطان العثماني بان البرتغال تعمل على مهاجمة المغرب وقد عمل هذا الأخير بتقديم المساعدة لهم على الرغم من أن الإشراف السعديون في بداية حكمهم كانوا رافضين للتبعية العثمانية [3]، فقد طلب السلطان العثماني من " محمد باشا صقللي بان يأمر والي طرابلس بتقديم العون للملك السعدي فقام هذا الأخير بتقديم المساعدة وقدم قوة عسكرية لمواجهة البرتغاليين[4] وكان "حسن فتريانو" قد أمر البحرية الجزائرية بالتوجه نحو الشواطئ الاسبانية الجنوبية وشواطئ المغرب الشمالية[5] للتدخل في المغرب ترقبا لأي خطر خارجي ونجد أن الأتراك كان لهم دور كبير في الواقعة الكبرى أو معركة الملوك الثلاثة وذلك بفرقها العسكرية وفي أسلحتها وذلك نظرا لخبرتهم في حمل السلاح .[6]

وهكذا استطاعت الراية الإسلامية التي رفع لواءها السعديون والأتراك ورجال الطرق الصوفية والمتطوعين والتي تعلقت حولها قلوب وعين المسلمين في شتى بلاد المشرق والمغرب ترقب

---

[1] أبوالمحاسن من العلماء المجاهدين حضر المعركة ، وقد ذكرت له كرامات منها انه قال للناس : أن النصر على النصارى أكيد وان الثمن الذي يباع به الأسير النصراني هو خمسين أوقية من ذهب، انظر :أبو حامد محمد العربي الفهري، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**،منشورات أبي المحاسن، (د.ت)، ص 147 .

[2] أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، مصدر سابق ،ج 5، مصدر سابق، ص 80.

[3] محمد فريك بك المحامي، مرجع سابق، ص 114 .

[4] نفسه، ص 106 .

[5] جلول بن قومار، مرجع سابق ص 89 .

[6] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 75 .

هذا الحث التاريخي الهام الذي استطاع أن يحقق النصر الباهر على القوى المسيحية الكاثوليكية ضمت البرتغال والأسبان والمتطوعين من الألمان والانجليز والنمساويين .[1]

3- النتائج:

أ- نتائج المعركة على البرتغاليين:

كانت هذه المعركة بمثابة الضربة القاضية لها، فلم تقم لها قائمة فلم تفقد البرتغال جيشها وملكها فحسب، بل فقدت استقلالها الذي أدى إلى انقراض لأسرة سبستيان وعدم وجود وريث للعرش البرتغالي ليضم إلى التاج الاسباني ودخلت بذلك البرتغال في طور من أطوار التدهور .

فكانت هزيمة البرتغال بمثابة النكبة التي حلت بهم ليس هم فحسب ولكن الأمم المسيحية جميعها، التي بخرت أحلام الصليبية والصليبيين في المغرب للأبد[2] وأصبح ملوك أوروبا ينظرون للمغرب كدولة كبرى[3].

-فقد ذكر المؤرخ "لويس مارية" في كتابه الموضوع عن أخبار الجديدة تعليقاً على هذه المعركة حسب رواية الاستقصا ما نصه المجهول :

"... إن هذا العصر هو العصر النحس، البالغ في النحوسة الذي انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح، وانقضت فيه أيام العناية من البرتغال وانطفاء مصابحهم بين الأجناس وزال رونقهم ، وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطاع الرجاء واضمحل إبان الغش والريع وذلك هو العصر الذي هلك فيه سبستيان في القصر الكبير من بلاد المغرب[4].

ونجد أنه قد نجى من هذه المعركة عدد ضئيل من الجيش البرتغالي الذي نقل نبأ الهزيمة التي نزلت عليهم كالصاعقة[5].

وبذلك أصبح البدء بالتفكير والتخطيط على مستوى أوربا بترك سياسة الحديد والنار، للبدء بغزو فكري ثقافي، بعد إخفاق الغزو الصليبي العسكري في المشرق العربي وفي مغربه.

---

[1] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 88 .

[2] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة، بين الجزائر واسبانيا :1492-1792**م، دار البعث للنشر الجزائر (د. ت) ص407.

[3] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص96.

[4] محمودعلي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص55.

[5] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص94.

وبذلك سيبقى يذكر عبد الملك المعتصم بالله الذي مات وهو يدافع عن كرامة أمة وعزة دين وأرض وطن وسيبقى يذكر شعباً أثرت أغصان رماحه زهر النصر، وقطفت سيوفه ثمرات جهده نصراً

– وسيبقى يذكر في الوقت ذاته الخائن محمد المتوكل المسلوخ غارقاً مغلوباً ، نتيجة حتمية طبيعية للخونة ومن هان عليهم وطنهم ورق عندهم دينهم، وهان شرف العقيدة لديهم[1]

ب- أسباب انهزام البرتغاليين:

1. تعند الملك وتسرعه وعدم استماعه لآراء ناصحيه بالتريث إلى حين الاستعداد الجيد للمواجهة بحيث نصحوه بالبقاء بأصلية إلى حين وصول الجيوش المغربية وبقاءه، على اتصال بالقوى البحرية إلى تمدده بالمؤن والعتاد والرجال في حالة ما تطلب الأمر لذلك[2].
2. قلة خبرة الملك وحنكة فكان من غير الملائم أن يتولى قيادة الجيش مباشرة لأنه ليست لديه المعلومات عن وسائل إمكانيات المغاربة والطرف الآخر[3].
3. نقص المعلومات لدى القيادة البرتغالية على استعدادات الجيش المغربي للمعركة وهذا ما جعلهم يحققون في تقديراتهم[4].
4. شدة الحرارة التي أثرت على الجيش الصليبي الذي لم يتعود على هاجرة المغرب.
5. الاختلاف وعدم الانسجام في القيادة العسكرية للجيش البرتغالي[5].
6. ضعف معنويات الجيش البرتغالي الذي دفعته الأنانية والغرور ليقاتل شعباً آمناً في أرضه وبلاده.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد عرف بعد معركة وادي المخازن قفزة نوعية انعكست على الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، كما انه قد كان لنتائجها آثار على العلاقات

---

[1] شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص87.

[2] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص92.

[3] إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العهد السعدي ،مرجع سابق، ص74.

[4] -L.A Rebello da .Silva: **Invasion et Occupation du royaume de Portugal en 1580**- Imprimerie renou et manulde,Paris;1864 T1 –p183.

[5] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص91.

الدولية فتحول المغرب من منطقة البحر الأبيض فتسارعت حولها القوى الأوروبية إلى منطقة حيوية دارت هيمنتها على الحوض المتوسط في القرن 16م.

ج- نتائجها على المغاربة:

-كان هذا الانتصار بمثابة حافز أعاد للقب المغربي ثقته بنفسه وكذا قدرته على القضاء على الهيمنة الأوروبية الاستعمارية.

-كما أتاح هذا النصر استقرار نسبي للمغرب الأقصى والتفرغ إلى تنظيم الأوضاع الداخلية والنهوض بالاقتصاد[1].

اقتصاديا:

تدفقت الأصول البرتغالية التي دفعت لافتداء الأسرى العديديين، واتسعت وازدهرت التجارة بالمغرب كما أن الحركة الفكرية والأدبية بالمغرب عرفت ازدهار الحركة الفكرية والأدبية، فبرز كتاب وشعراء وأدباء نذكر ابن القاضي وغيرهم[2].

وهنا يجدر للإشارة إلى أن السلطان أحمد المنصور لم يغتنم كثيراً من أموال البرتغال ضمن غنائم المعركة فقد ذكر ابن عيشون أن الغنائم أخذها المسؤولون عليها حيث قال ما نصه "إلا أن الغنيمة لم تقسم انتهبها الناس كما اتفقت لهم بحسب القوة والحظ الدنيوي وكان الناس يتوقعوا مغيبها لاختلاط الأموال بالحرام فظهر ذلك من غلاء وغيره وكنا نسمع أن البركة رفعت من الأموال من يومئذ..."[3].

-سياسياً:

حظي المغرب بزخم سياسي قوي لدى دول العالم فمنها طلت عليه الهدايا والسفارات والبعثات وأخذ المغرب يقوم بدور هام من أجل الساحة السياسية الدولية[4].

---

[1] شوقي عطاء الله الجمل، مرجع سابق، ص180.

[2] ابن القاضي هو أحمد بن محمد بن أبي العافية المعروف بابن القاضي ، كتب عدة تراجم عن المنصور ويعتبر من المقربين له، افتداه المنصور عندما تعرض الأسر من طرف القراصنة، أنظر: أحمد بن محمد المقري ، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضريين مراكش وفاس**، ط2، الرباط 1933م، ص239.

[3] أبو عبد الله بن عيشون الشراط، المرجع السابق، ص104.

[4] سعيد أعراب، مرجع سابق، ص96.

-والتجارة الدولية وأصبحت الدول الأوروبية تتنافس للتعامل معه والحصول على امتيازات تجارية بعد المعركة، ثم إحصاء الأسرى والقتلى وكانت الأرقام متباينة في المصادر التاريخية لكنها اتفقت على أنهم كانوا بالألوف[1].

-كما قام المنصور بعد الانتصار أن وجه سفارات للدول الإسلامية نذكر سفارة أحمد بن يحي الهزالي إلى اسطنبول أخبر فيها السلطان العثماني بما هيأه الله له من نصر مبين على أعدائه وحملت نفس البعثة رسالة الجزائر مصحوبة بهدية للأمير إسماعيل الموجود في الجزائر[2].

د- العوامل التي ساهمت في نصر المغاربة:

نذكر منها:

1. الثأر للأندلسيين التي لم يشفى جرحها في قلوب المسلمين والتي تمثلت فيها الصليبية الحاقدة في أبشع صورها.
2. الخطة الإستراتيجية المحكمة التي وضعها عبد الملك للمعركة باستدراج العدو الى مكان قيادته وستجمع المنافذ.
3. تحطيم القنطرة المنفذ الوحيد للعدو له في حالة ما إذا زاد التراجع فوجد عند تراجعه مياه وادي المخازن التي أعاقت فراره، فدب الهلع في صفوفه وتفرقت كتائبه فمنهم من غرق ومنهم من قتل
4. الاستجابة العامة لنداء عبد الملك وأخوه "أحمد المنصور في الجنوب.
5. دعم عبد الملك لجيشه وتولى أحمد المنصور زمام الأمور بعد وفاة أخيه[3].
6. كان عدد قبول المغاربة أكثر من قبول العدو وربما كانت حرب السهول مواتية للفرسان وليس للمشاة.

---

[1] عبد العزيز الفشتالي: مصدر سابق، ص36.

[2] هو الأمير إسماعيل ابن عبد الملك السعدي أمه تركية الأصل تركه أبوه عند أتراك الجزائر عندما دخل المغرب لقتال ابن أخيه المتوكل رأي فيه الأتراك أحقية بالملك عن عمه المنصور استخدم كورقة ضغط مرارا ، ضد أحمد المنصور أنظر: عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، مرجع سابق،ج2، ص230.

[3] عبد المجيد قدور، مرجع سابق، ص179.

7. استخدم عبد الملك في تسيير المعركة وتنظيم القتال الطريقة العثمانية بحكم فاعليتها ولخبرته بها، حيث سبق له أن شارك في المعارك التي خاضها الأتراك في الجزائر وتونس فأولى اهتمامه بالمدفعية الثقيلة وفصائل المشاة وبهذا تفوق المغاربة في سلاح المدفعية أما المدفعية البرتغالية بالرغم من قلة قطعها وهذا راجع لخبرة الأتراك بها ودقة تصويبهم[1].

8. امتزاج الخبرات والمهارات بين خبراء عثماني عرفوا بمهاراتهم في المدفعية وأندلسيين تميزوا بدقة التصويب هذا ما جعل المدفعية المغربية تتفوق على المدفعية البرتغالية[2].

9. الاختلاف بين القاعدة والقمة في الجيش الصليبي، فرؤساء الجيش لم يكونوا مؤمنين بالخطة التي وضعها سبيستيان، وهذا كان من سبب من أسباب الفشل.

10. المشاركة الشعبية الفعالة بجميع فئاتها في المعركة بعد نداء عبد الملك في الجنوب وأخوه أحمد في الشمال[3]، وهذا ما أدى إلى تماسك الجهة الداخلية في وجه الأعداء.

11. غياب الصراع على العرش بين عبد الملك وأحمد ما أدى إلى تماسك الصف يوم المعركة[4].

---

[1] عبد الرحمان قباح: **معركة وادي المخازن 986هـ/1578م**، في مجلة الأحياء، عدد01، تصدرها رابطة علماء المغرب، المغرب، 1981، ص 244.

[2] علي محمد الصلابي: **صفحات مشرقة التاريخ الإسلامي** ،ج2، دار الفجر للتراث القاهرة،(د.ت)، ص676.

[3] محمد حجي، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، في مجلة دعوة الحق، العدد5، المغرب، سبتمبر1980، ص30.

[4] عبد الكريم غلاب، مرجع سابق ص311.

الفصل الثالث
آثار وانعكاسات
وادي المخازن

1- تولي المنصور الذهبي لعرش الدولة السعدية:

أ- مولده:

هو أحمد بن أبي عبد الله الشيخ محمد المهدي الملقب بالذهبي وذلك لاحتلاله لبلاد السودان وجلبه للذهب ولد بفاس سنة 956هـ [1].

كان المنصور عالما إلى درجة الاجتهاد، وكان أديبا شاعرا كاتبا وكان سياسيا محنكا وشجاعا وإداريا منظما ومصلحا اجتماعيا كبيرا، وبالجملة فلقد اجتمعت فيه أوصاف الزعامة وأشراط الإمامة[2]، من أساتذته أبو العباس احمد بن القائم الأندلسي وأبو مالك الحميدي ومحمد الحارثي وأخذ الفقه من أبي عمران السوسي وعبد العزيز إبن إبراهيم الدكاني وأحمد بن علي المنصور الذي كان يهتم بالشعر وفنونه .

ب- بيعته:

وكانت بيعته عقب وقعة وادي المخازن في يوم الاثنين جمادي الأول 980هـ/ 1578م بعد أن اجتمع عليه أهل الحل والعقد[3] .

وأول ما قام به هو تولية ابنه محمد الشيخ المأمون العهد 987ه/ 1579م وذلك على إثر مرض عضال كاد يذهب بحياته وتم عقد البيعة 987هـ/1579م بمحضر عدد من العلماء والوجهاء ورؤساء القبائل ثم جددت البيعة بحضور المأمون سنة 987هـ خارج مراكش وقد أدت هذه البيعة إلى ثورة داود بن عبد المؤمن وغيره وهذا ما سنتطرق له[4].

ولقد حرص المنصور على إنشاء جهاز حكومي قوي[5].

---

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص 296 .

[2] محمود شيت خطاب، **قادة المغرب العربي**، ج 2، ط 7، دار الفكر للطباعة،(د.م.ن) ، 1984، ص 205 .

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ص 89 – 90 .

[4] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 297 .

[5] إبراهيم حركات ، **احمد المنصور كرجل دولة**، مجلة دعوة الحق، العدد8، المغرب، 1978،ص57.

أما عن الحركات المناهضة للحكم في عهد المنصور والتي في أغلبها قادتها أفراد من أسرته نذكر منها :

- **ثورة داود بن عبد المؤمن وأهل السوس** 987هـ/1579 -1581 م فمجرد أن عين المنصور إبنه محمد الشيخ واليا للعهد ثار داود ضد عمه المنصور في السوس جنوب المغرب حيث كان داود يمني نفسه بولاية العهد، وقد كان في أهل سوس أنصار لثورته فسارع المنصور بإرسال حملة سنة 988هـ/1580م لمحاصرة داود في واد هرغة الذي استطاع الفرار إلى عرب الودايا بحيث توفي هناك [1].

- **ثورة عرب الخلط** : الذين رفضوا أن يشاركوا في فتح تيكورارين فجردهم من الخيل والسلاح وشردهم ومن سنة 987هـ/1588م [2]، بدأت ثورة المرابط الحاج قرقوش في شمال المغرب لمقاطعة الهبط، حيث دعا لنفسه بالملك وقد عبر عن هذا الفشتالي بقوله " وليس شارة الملك واتخذ الآلة وتسمى في كتابه بأمير المؤمنين "[3] .

- كما ادعى أنه من الأشراف وجمع حوله خلقا كثيرا واشتعل لهيب ثورته في 16 صفر سنة 996هـ/15جانفي 1588م فقام المنصور بتجهيز حملة ضده فكانت هزيمته ثم تم القبض عليه وإعدامه بفاس في 28 رجب 997هـ / 12 جوان 1596م.

- **ثورة الناصر بن عبد الله الغالب** سنة 1003ه/ 1595م وكان قد التجأ للإسبان منذ وفاة عبد الملك المعتصم عند نشوب معركة وادي المخازن، ونجد أنه بعدما قام الملك إسبانيا فليب الثاني بضم البرتغال 1581م وجدها الناصر فرصة مناسبة وقام بطلب النجدة ضد عمه غير أن الملك فليب لم يلتفت إليه بسب انشغالاته الداخلية والخارجية وعلاقاته الودية مع المنصور ولما انتهت معركة الارمادة التي جرت بين إسبانيا وإنجلترا، وانهزمت خلالها الاسبان [4] .

وبالغ المنصور في الإعراب عن تأييده للدون أنطونيو وفي التعامل مع المعسكر البروستانتي وإليزابيث ملكة إنجلترا خاصة وقد أشار الفشتالي إلى ذلك بقوله << ...بما أمدها به من النحاس

---

[1] عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 56 – 58 .

[2] إبراهيم حركات، ، **المغرب عبر التاريخ** ، مرجع سابق، ص 307 ،308 . .

[3] عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 94 .

[4] جفري بروان، **تاريخ أوروبا الحديث**، تعريب علي مرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، (د.ت)، ص 202 .

لتفريغ مدافع الناصر وإطلاق ملح البارود لها بالشراء من ممالكه الشريفة وأمدها بالمعاون التي إعوزها بلادها ...>>[1].

وحاول المنصور استغلال الظروف الحرجة التي تتخبط بها إسبانيا وبأوروبا الغربية للضغط على فليب الثاني للتنازل له عن أصيلا لجأ الملك الاسباني للمعاملة بنفس الأسلوب ونقل الأميران الناصر والشيخ من لشبونة إلى مدينة كرمونا، في ماي 1589م وأخذا يلوح للمنصور بإمكانية مساعدتهما للثورة ضده الأمر الذي أجبر المنصور على التراجع بما وعد به إنجلترا وأبحر الناصر من مالطا 7 ماي 1595م ومعه قوات جبارة معظمها من المورسكيين الاسبان للفرار من الاضطهاد كما أن فليب الثاني وجدها فرصة مواتية للتخلص منهم فأغرى الناصر وزين له وفدا وقد أورد الفشتالي ما نصه : << استمر في الاعتمال في المكايد التي هي جنده الأقوى وحصنه الذي يلوذ به عند الشدائد فأملى للناصر لتفريق الكلمة وتحريك حوار الفتنة >> [2] .

نزلت القوات بمدينة مليلة المحتلة من الإسبان يوم 28 شعبان 1003هـ / 09 ماي 1595م وأعلن منها الثورة ضد عمه المنصور فزحف على مدينة تازا واستولى عليها بسبب انضمام عدد من قوات المنصور للناصر فأصبح الطريق مفتوحا للثوار نحو فاس فزاد هذا النصر الأولي من حماس الناصر لمواصلة قتاله ودفع لبعض زعماء القبائل للانضمام إليه وقد اختار الناصر جبال الريف الشرقي من المغرب كمركزا لقواته نظرا لأنها قريبة من مليلة قاعدة الاحتلال الاسباني حتى يسهل عليهم إمداد الناصر المساعدات العسكرية في حالت إذا تطلب الأمر ذلك كما اتصل الناصر بأتراك الجزائر لطلب العون منهم أو الالتجاء لهم حالة الهزيمة [3].

وقال الفشتالي مؤكدا هذا << ... وليجد وليجة إلى المرور من هناك لجهة الشرق أن بدا له من أمره ما يكره .....>>.

وبعد شهريين من قيام ثورة الناصر أرسل المنصور رسالة إلى فليب الثاني يوم الخميس 13 جويلية 1595م، أعرب له فيها عن بقاء سبل الود موصولا بينهما .

---

[1] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، مصدر سابق، ص 193 .

[2] نفسه، ص 171 .

[3] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 195 .

فالمنصور كان على يقين أن الاسبان هم المحركون الاساسيون لثورة إبن أخيه فأقدم على إلقاء القبض على السفير الإسباني بمراكش " بيلهزا ربولو Bathzarpolo " يوم الجمعة 4 أوت 1595م وضعه رهن الاعتقال وعمل على ملاحقة الاسبان المتواجدين بالمغرب احتراسا من أن يقوموا بالالتحاق بثورة الناصر شمال البلاد .

وفي 1595م كلف أحمد المنصور ابنه محمد الشيخ ونائبه على فاس لتوجيه حملات عسكرية على الناصر وضل هو معسكرا في نهر تانسيفت على أهبة الاستعداد للتدخل التقى الجمعان على مقربة من فاس قرب جبل مدغرة في معركة دامت ساعة ونصف، انهزم فيها الناصر وتم اعتقاله وإعدامه 1004هـ/1596م، وبذلك انتهت ثورته وكانت من الثورات التي هددت المنصور وأوشكت أن تقضي على حكمه .

ثورة محمد المأمون بن المنصور: وكان والده قد ولاه سنة 987هـ/1580م ثم حدد له العهد 992هـ/1584م وعينه نائبا له بفاس ولكنه كان سيئ السيرة يبتر أموال الناس ولا يعمل بواجباته الدينية وقال المجهول في ما يلي :<< قبيح الذات والأفعال وغدرا لمن خدمه ونصحه مسرعا إلى الفساد في القينات مصرا على الخمر والحشيش [1] >>

وقد جمع حوله أعداء أبيه كعرب أولاد حسين وبعض الموالين للأتراك وكان يلتجئ إلى تلمسان ليستعين بالأتراك وأخير ظفر به المنصور بعد مطاردة طويلة وسجنه بمكناس التي ظل منفيا بها إلى أن فر من السجن في عهد زيدان واستمرت ثورته سنوات عديدة [2].

[1] مجهول، مصدر السابق، ص 69 .

[2] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص 308 .

2- السياسة الداخلية للمنصور:

أ- الإدارة المركزية:

كان المنصور إداريا ممتازا جمع في مخزنه بين التقاليد المغربية والتأثيرات التركية[1]، يقول الفشتالي " كانت سيرة الخلفاء رضوان الله عليهم من أول دولة إلى أيام المتوكل عفى الله عنه سيرة مطلقة لم تحفظها قوانين ولا قيدتها ضوابط بل كانت الأمور مسترسلة جارية على مقتضيات الحال لما كانت الدولة المغربية غير متراضية للقوانين التي تملك زمامها إلى أن صار الملك والخلافة للمولى عبد الملك أمير المؤمنين المعتصم رحمة الله فنجح بالدولة إلى السيرة العجمية [2]"

وتميز مخزن المنصور بكثرة عدد الأجانب وقوة نفوذهم وخاصة الأتراك والعلوج الذين شغلوا مناصب كبيرة في المخزن والجيش وقد أدى انسجام عدد كبير من الأتراك إلى زيادة التأكيد التركي في المخزن والجيش واللباس ومع ذلك ظل المخزن السعدي مخزنا مغربيا تقليديا .

فرض المنصور مركزية شديدة وكان متطلعا على أخبار النواحي يقرأ ما يرد إليه من رسائل عماله، ولا يتأخر بالإجابة وكان يقول كل شيء يقبل التأخير إلا مجاوبة العمال على أسئلتهم وكان لهم عيون في جميع نواحي المغرب [3].

وعمل المنصور على تنظيم وتحسين الإدارة المركزية بحيث كانت مكونة من

- العناصر السياسية والإدارية والعسكرية والمالية ومن أبرز ما نجد :

السلطان (الملك) : وهو أعلى سلطة في جهاز الحكم وقد حمل المنصور لقب الخليفة كغيره من الملوك السعديين تأييدا لأحقيتهم بخلافة المسلمين بدل العثمانيين بحكم أصلهم النبوي الشريف[4]، وكان من الأعمال الأولى التي يقوم بها السلطان السعدي اعتقال بعض أقاربه تجنبا لتمردهم [5].

- ومع ذلك فإن الذين كانوا يتمتعون بحريتهم وامتيازاتهم كانوا أكثر خطورة على العاهل من هؤلاء المعتقلين.

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 57 .

[2] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 202 .

[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 57 ، 58 .

[4] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 230.

[5] مجهول، مصدر السابق، ص ص 29، 33 .

- وكان على السلطان أول بيعته أيضا أن ينفق المال على العساكر والفقهاء والمساكين ويعين ولاة جدد.

- وكان الملوك السعدين يتخذون نوابا عنهم في المدن الكبرى من أمراء الأسرة الحاكمة ويحمل كل منهم لقب خليفة على المدن يخلف العاهل في تدبير شؤون الإقليم[1] أما بالنسبة لديوان المنصور فكان يجتمع مرة في الأسبوع، ويتعرض لمختلف القضايا، ويتكون الديوان من شخصيات كثيرة فمنهم ممثلو السكان والقواد العسكريون وعدد من القضاة والفقهاء وغيرهم وهذا المجلس بنفسه بث قضية إشهار الحرب على السودان وترشيح محمد المأمون ابن المنصور واليا للعهد ومن أعضاء هذا الديوان، القائد مؤمن بن الغازي الغماري والوزير عبد العزيز الفشتالي والمفتي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي[2] وفي القضايا ذات الأهمية الكبيرة كان مجلس المنصور يضاف إليه شخصيات فكرية أو ذات مكانة اجتماعية، وكان للعاهل عدد من كبار الموظفين ومساعديهم يقومون بمهام مختلفة خاصة بالبلاط أو الملك نفسه وفي مقدمتهم المشرف على الحفلات العامة ومنظم المجلس الملكي وآخرون، وهناك 50 جنديا يركبون المهاري يقومون بتبليغ أوامر الملك إلى العمال وكبار الموظفين، وبلغ عددهم (الحرس الخاص) وعدد من حملة الريات إضافة إلى المكلف بخيام الملك[3] .

- التزم السعديين بتقاليد معينة في استقبال السفراء لاسيما أحمد المنصور الذي توافدت إلى بلاطه عديد السفرات ومن أشهر الشخصيات الدبلوماسية لدى البلاط السعدي سفارة فليب الثاني إلى احمد المنصور برئاسة "دون بيدرو فينيكاس سنة 987هـ / 1587م واتجه محمل بالهدايا للسلطان المغربي وتطلب منه التنازل عن ميناء العرائش[4]، كما شكره على تسليم جثة دون سبيستان [5] .

---

[1] مجهول، مصدر سابق، ص 33 .

[2] أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج5، ص 111.

[3] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** ، مرجع سابق، ص 374 .

[4] العرائش مدينة قديمة في المغرب الاقصى أسسها أهل البلاد على الساحل عند مصب الوادي ليس في المحيط يحدها البحر من جهة والنهر من جهة أخرى، أنظر: مارمول لويس كربخال، مصدر سابق، ج 2، ص 189 .

[5] محمد الصغير الافراني، مصدر سابق، ص 198 .

أما جهاز الحكومة فلم يحدث عليه أي تغير يذكر وظل الموظفين الأساسيين هم الوزير والحاجب وفاض الجماعة إلى جانب عدد كبير من الكتاب [1].

- الوزير بمثابة الوزير الأول حاليا.
- الحاجب يقوم بتنظيم العلاقات بين الخليفة وكبار الدولة.
- أصحاب المشورة وهم هيئة الانكشارية كقادة الجيش والفقهاء وزعماء القبائل صاحب المظالم مكلف يتلقى الشكاوي ورفعها للمنصور.
- كان المنصور في مقدمة الحكومة المركزية مقر الحاكم والدواوين وأعضاء الحكومة والكتاب، وخص أهل سوس بنصيب من الوظائف فكان منهم قواد الجيش وسفراء وحتى الحرس الخاص [2].
- كاتب السر (الخاص بالخليفة) مسؤول عن ضبط مداخيل الدولة وما يلاحظ في عهد المنصور أن موارد الدولة ازدادت بشكل واضح، حيث شملت إلى جانب غنائم الحرب والجبايات التي تتكون من الزكاة وضريبة الخراج التي كانت لمس القبائل السهلية[3] وضريبة الحرية على اليهود
- وهذا ما قد أسفرت عليه معركة القصر الكبير نتيجة الأسرى البرتغاليين والاسبان والايطاليين الذين شاركوا في هذه المعركة إضافة إلى الأسرى الذين وقعو في الأسر قبل المعركة نتيجة قيام عملية القرصنة المتبادلة بين المغرب الأقصى والدول الأوربية المعادية لهم وأمام هذه الكارثة التي حلت بالبرتغال وجيشها عجز الكثير من الاسر الفقراء و أصحاب المهن البسيطة من إفتداء أنفسهم وإقتصر الافتداء على النبلاء والأغنياء الذين يمثلون أقلية في الجيش المنهزم وقد حضر هذه المعركة طبيب يهودي فتحدث عن ثمن الأسير بقوله كان سعر الأسير الواحد يتراوح ثلاثين ومئة وخمسين (موزونا) أما قيمة إفتكاك كانت تتراوح مابين ثلاثة مائة وخمسين مائة (موزونة) وقد أصبحت مدينة فاس مثلا مليئة بالخدم من أسرى البرتغال وأمست هذه المدينة غنية بالذهب والأسلحة مختلفة الأنواع[4] وقد ذكر أن المنصور دفع له من أجل تسليم جثة الدون سبستيان

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ص 378 .

[2] محمد المختار السوسي ، **السوس العالمة**، مطبعة الفضالة المحمدية، المغرب، 1960 ، ص 20 .

[3] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص230.

[4] عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ج8، ص106.

46000 قطعة ذهبية كما إستعمل المنصور هؤلاء الأسرى في أعمال الزراعة كما استفاد من خبرتهم في مجال صناعة الأسلحة كما قام بدمج بعضهم في الجيش [1].

ب- الإدارة الإقليمية

قام المنصور بتوزيع البلاد إلى 12 عشر ولاية أو إقليم وأسند إدارتها لعناصر تحضى بثقته عين على رأس كل منها عاملا لمثابة نائب عنه في الإقليم وكان يتمتع بصلاحيات واسعة وقد أناب المنصور عنه أبنائه من أقاليم خاصة كفاس ومكناس[2] وسوس ومراكش، وقسمت الأقاليم بدورها إلى قيادات يرأسها قائد أو باشا يدير شؤونها العامة، ويقوم بالبحث في القضايا المدنية والخصومات ويساعده صاحب الشرطة المكلف لحفظ الأمن والقاضي الذي ينظر في القضايا الردعية إضافة إلى شيوخ القبائل الذين عهد إليهم مهمة تأمين سلامة الطرق[3].

وكان حرس المنصور تتألف من مجموعتين أساسيتين الترك والعلوج وما انظم إليهم من جهة أخرى وهاتان المجموعتان يكونان الجيش النظامي وثم منها شكلت 6 فرق

ومن جهة أخرى هنالك 3 فرق شارك في الحرب وثلاث لخدمة السلطان الخاصة ولكل من هذه الفرق زي خاص على النمط التركي، واستعملت كل المصطلحات العسكرية التركية تقريبا بالإضافة إلى مصطلحات عربية الأصل ومنها المحلة التي كانت عند الأتراك بمعنى الحملة[4] وتهمل الدولة أمر الأسطول .

وشارك الأسطول البحري في حملة السودان، غير أن العناية بأمر الأسطول بدأت تضعف أيام زيدان فقد تولى مهمة إنشاء القطع الجهادية للمورسكيون في كل من الرباط وسلا، تطوان، وقد لعب العلوج دور فعال في قيادة الأساطيل المجاهدين و السهر على أشغال التقنية الخاصة بها وكان اغلب الرؤساء منهم وعدد العلوج لدى المورسكيين بالرباط لا تقل عن 300 ومن اشهرهم الريس مراد[5] وقد كان الرباط والعرائش أهم مراكز الأسطول السعدي ومجموع الجيش يصعب تحديده

---

[1] جلول بن قومار، مرجع سابق،103.

[2] مكناس: مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها وبين مراكش 14 مرحلة، أنظر :ياقوت الحموي ،مصدر السابق، مجلد 5، ص181.

[3] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 340 .

[4] عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص 138.

[5] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 244 .

فهناك الجيش النظامي الذي يتكون من عدة عناصر والمتطوعين الذين يزداد عددهم وينقص حسب الحاجة [1].

3- **سياسة المنصور الخارجية:**

أ- **غزو المنصور للصحراء : 989هـ/ 1581م**

من الأعمال التي نجح بها المنصور هي غزو الصحراء خاصة بعدما كانت منطقة توات[2] وتيكورارين[3] غير خاضعة لسلطة الدولة وهذا ما شجع المنصور وجعله يوجه جيشا بقيادة أحمد بن بركه وأحمد بن الحداد الغمري المعقلي وبلغ الجيش إلى هذه الناحية بعد شهرين ونصف تقريبا من السير ثم أخضعت قبائلها بالقوة بعد أن رفضت الاعتراف بسلطة المنصور وهكذا أعيد ضم هذه المنطقة للمغرب 989هـ[4].

ب- **فتح السودان 999هـ/1591م:**

يمكن حصر الأسباب التي أدت بالمنصور لفتح السودان ما يلي :

1. عامل التوسع السياسي: فالمنصور السعدي كان يعتبر نفسه خليفة ويستمد سلطة الخلافة من نسبه وجشعه فتح تيكورارين وتوات وتمادى في فتوحه جنوبا لأنه امن كل مضايقه من الخارج وكذا لم تكن بلاد ما وراء الصحراء قد فتحت.

2. العامل الاقتصادي: كانت موارد المغرب أدنى من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية وكان معروفا على السودان توفرها على المعادن من الذهب التي رغب المنصور في استغلالها.

3. العامل العسكري: لم تكن السودان تتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح فليس للجيش مدافع ولا حتى بنادق بحيث أن الجيش المغربي كان برغم قلة أفراده مجهزا بأحدث

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 60 .

[2] توات: واحة كبيرة بالجنوب الجزائري بها قصور وقرى من أشهر مدنها تيميمون وقرارة، انظر: هامش مولاي بن لحميسي، **الجزائر خلال رحلات المغاربة في العصر العثماني**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1961، ص 67 .

[3] معناها بالبربرية معسكرات، أنظر :الحسن بن محمد الوزان، مصدر سابق، ص 133 .

[4] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ص 228 .

الأجهزة بالنسبة لذلك العصر هذه الأسباب الرئيسية التي شجعت المنصور في حين نجد أن المراجع المعاصرة تذكر بأن المنصور قام بمحاولات تمهيدية لإخضاع السودان سلميا[1].

وفي سنة 989هـ/1582م استنجد أسكيا بن داود ملك بورما بالمنصور لإخضاع القبائل الثائرة[2]، عليه بعد يأسه من أتراك الجزائر فاشترط عليه المنصور الدخول في بيعته وبعد وفاة أسكيا بن داود خلفه ابنه الحاج محمد لكن المنصور أعلن الحرب على السودان فجهز حملة عام 998هـ/1583م ،بقيادة محمد السالم وعبد المولى بن عيسى لكن الحملة فشلت وقد عارض العلماء هذه الحملة واعتبروها غزوا لا فتحا لأنها بلاد إسلامية وفي 998هـ/1590م قام بحملة ثانية بقيادة "(جوذر باشا)" وهو أندلسي الأصل من غرناطة انضم للجيش مع أخيه محمد في عهد المنصور[3] وقد جلب معظم الأسلحة من انجلترا وقد تم اللقاء قرب مدينة "كاغو"[4] شمال تونديبي 999هـ/1591م حيث انتهى بهزيمة الجيش السوداني بقيادة إسحاق أسكيا وبذلك سيطر المنصور على السودان [5] وبذلك يكون مشروع أحمد المنصور عقب واقعة وادي المخازن في غزوه للصحراء وفتح السودان قد ساهم بشكل كبير في الانتعاش الاقتصادي للمغرب وذلك لما تحصل عليه ثروات هائلة .

أما بالنسبة لعلاقات المنصور الذهبي بالدول الأخرى ، فقد اتسمت بطابع المرونة واللباقة والتوازن في الاستفادة، وإن كان المخزن السعدي في جملته قد سلك سياسة الانفتاح على العالم الغربي على نطاق واسع، لم يتقدم له نظير، والتي هدف من خلالها إلى الاستفادة منها دون أن يورط المغرب في أية مغامرة خارجية كما أعطى هذا الانتصار للمغرب والمنصور هيبة وسمعة دولية إستند إليها المنصور في سياسته الخارجية واستفاد منها، ويتجلى ذلك في الوفود التي وفدت على المنصور والهدايا الثمينة التي حملها [6].

---

[1] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص 298-299. .

[2] نفسه،ص 79 .

[3] شارل اندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب :محمد مزالي والبشير بن سلامة ،ج2،الدار التونسية للنشر،(د.م.ن)، 1985،ص 275 .

[4] عاصمة مملكة سونغاي تقع على الضفة اليسرى من النهر النيجر، أنظر :جلول بن قومار، المرجع السابق، ص 226 .

[5] ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص 307 .

[6] إبراهيم حركات، **أحمد المنصور كرجل دولة**، مرجع سابق، ص 77

وقد كانت الظروف الخارجية مواتية للمنصور فقد كانت أوروبا تعيش في فترة صراع دولي بين إسبانيا من جهة وإنجلترا وفرنسا والبلاد المنخفضة من جهة أخرى، وقد شلت هذه الحروب نشاط إسبانيا في إفريقيا ودفعتها كما دفعت غيرها من الدول إلى التماس المساعدة المغربية كما كانت الدولة العثمانية مشغولة في أوروبا وفي صراع مع إيران وفي اضطرابات البلاد العربية و لم يعد بإمكانها تهديد المغرب جديا وذلك من جراء تراجع قوتها إثر هزيمتها في معركة ليبانت 1571م [1].

ج- علاقات المنصور مع الأتراك:

أرسل المنصور بعد أن تمت له البيعة رسولا إلى السلطان العثماني برئاسة احمد بن يحيى الهوزالي ولسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب و منهم صاحب الجزائر يخبرهم بالنصر.

و كان العثمانيون قد أوقفوا الحملة التي كانوا يعدونها لمهاجمة المغرب،و لكن السفير العثماني طالب المنصور تعيين إسماعيل بن عبد الملك المقيم في الجزائر حاكما على فاس، والذي هدفو من خلاله لإضعاف المنصور و إيجاد عميل موال لهم في شمال المغرب وذلك لبسط نفوذهم على المغرب[2].

و لكن المنصور أهمل السفير ورفض الرد عليه وحين وصل السفير الاسباني طلب منه مغادرة المغرب،توترت العلاقات المغربية العثمانية حين تأمر القادة الأتراك ونادوا بأحقية أخيه عبد المؤمن، 1580م كما اقنع العلج علي السلطان بإعداد حملة لمهاجمة المغرب، وقد علم المنصور بنوايا العلج فنجح في تجنب الغزو العثماني بالوسائل الدبلوماسية[3] وقد تكررت السفارات بين الطرفين، بالرغم من المجاملات وإلحاح العثمانيين على موضوع تسليم إسماعيل بن عبد الملك فاس ورغبة المنصور في تأكيد استقلاله عن الأتراك واعتباره نداء السلطان العثماني من جهة أخرى كان يحول دون وصول المفاوضات إلى نتائج ملموسة[4].

لكن بعد ذلك و نتيجة شعور العثمانيين بتزايد الخطر الاسباني بعد ضم البرتغال،و تضايق المنصور من إلحاح الاسبان على تسلم العرائش من المغرب ومساعي الانجليز للتقريب بين الطرفين

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 60 .

[2] نفسه، ص60.

[3] إبراهيم شحاتة، **أطوار العلاقات المغربية العثمانية**، منشأة المعارف ،الإسكندرية، 1982، ص 106.

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 61.

جعلتهما يستمران في الاتصالات وتبادل السفرات والهدايا، ففي سنة 1580م تلقى المنصور من السلطان العثماني مراد رسالتين يقترح فيهما على المنصور التحالف وأن يقدم السلطان العثماني (300) سفينة حربية وقوات عثمانية تشترك مع المغاربة لمواجهة الإسبان ونظرا لما كانت تسعى له اسبانيا من أجل أخذ العرائش فقد عمل المنصور على التملص بحجة الرجوع للسلطان العثماني وكانت انجلترا تحث السلطان العثماني على التدخل لدى المنصور للامتناع عن تسليم العرائش للإسبان[1]، وبذلك رفض المنصور التنازل على العرائش أو غيرها من التراب المغربي بل إن اسبانيا أخلت أصيلا تلقائيا سنة 1592م.

و كذلك نجد أن المنصور فيما بعد قد اتخذ للجيش المغربي الزي العسكري التركي .

كما نجد أن الأقطار العربية في هذه الفترة في معظمها تخضع للسيادة العثمانية وفي هذا الإطار حضر المغرب بعد إعلان انتصار المغرب في وادي المخازن وفدان من مصر و تونس لتهنئة احمد المنصور ولإحكام الصلات الدينية والفكرية مع مصر كما استجاز المنصور عالمين بارزين منها وهما محمد البكري (ت1007هـ/1598م) وبدر الدين القرافي (ت 1008هـ/م1599)

إلحاح الأسبان على تسلم العرائش من المغرب ومساعي الانجليز التقريب بين الطرفين جعلتهما يستمران في الاتصالات وتبادل السفارات والهدايا.

د- علاقات المنصور مع إسبانيا :

سوف تتكرر الاحداث بنفس النسق تقريبا كما حدث في عهد عبد الله الغالب، فقد واجه أحمد المنصور الذهبي الأتراك بعنف وهو في أوائل حكمه، بل وأعطيت الأوامر لعلج علي قائد الأسطول العثماني لغزو المغرب، وقد وصل بالفعل للجزائر في يونيو 1581م، بينما كان المنصور يرابط بقوات جرارة عند نهر تانسقيت[2].

وهذا ما جعله يتقرب أكثر من الإسبان بل ويعدهم بالتنازل على العرائش ويكون لهذا التقارب أيضا تأثير على القضيتين الأساسيتين: الثغور المحتلة: وإلحاح العلماء على ضرورة استغلال

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 62.

[2] محمد زروق، **العلاقات المغربية خلال القرن 16خلال العهد السعدي الأول**، مجلة المناهل، العدد38، السنة 15،(د.م.ن)، 1989، ص191، أنظر الملحق رقم (07)، ص 90.

نصر المعركة في سبيل تحرير الثغور لكن المنصور لم يستطع أن يفعل أي شيء يؤدي به إلى الارتماء بين أحضان الأتراك لهذا فضل التريث والمناورة.

أما فيما يتعلق بالقضية المورسكية فمن الطبيعي أن يكون أيضا تأثير لهذا التقارب على المورسكيين بإسبانيا، ففي صيف 1580م اكتشفت مؤامرة مورسكية واسعة النطاق وقد يكون سفراء المنصور أنفسهم الذين أفشوا سرها للإسبان فتحالف المورسكيين مع الأتراك و هذا ما كان يجعله دائما حذرا منهم فإنه لا يمكن فهم العلاقات المغربية الإسبانية إلا من خلال هذه الفترة و من خلال العلاقات المغربية التركية كعنصر مؤثر فيها.[1]

وفي سنة 1589 م اقتنع ملك إسبانيا بسوء نية المنصور بعد أن رآه يقدم على تحصين العرائش بمساعدة إنجلترا وفي هذه الفترة بات المنصور ميالا للتفاهم مع الانجليز دون أن يقطع الجسور بينه وبين الإسبان مع علمه أن العلاقة بين الانجليز وإسبانيا متوترة وكان يأمل من تقاربه من الانجليز هو مساعدته على استعادة الممتلكات البرتغالية بالمغرب دون جهد.

وهذا الأمر ما دفع بالإسبان سنة 1595م إلى الناصر بالذهاب للمغرب وقدموا له المساعدة للثورة على المنصور، لكن تمكن المنصور من القضاء على هذه الثورة، و بذلك فقد زاد سخط المنصور على فليب الثاني لتخطيطه لاحتلال جزيرة أرجوين والشاطئ الصحراوي، المواجهة لها لتحويل ذهب السودان إليها، دفع هذا كله المنصور للسعي لعقد حلف مع ملكة إنجلترا إليزابيث وملك فرنسا هنري الرابع، وتردد مواضيع مشتركة، حول إسبانيا واقتسام ممتلكاتها، إلا أن الأمور وقفت عند هذا الحد فقد جدت ظروف شغلت المسؤولين في المغرب والدول الأوروبية وسعى المنصور إلى تحرير الثغور وتقديم المساعدة للمورسكين داخل المغرب وخارجه.[2]

ه- علاقات المنصور مع إنجلترا :

لقد كان عهد المنصور يوافق عهد ملكة إليزابيث وهو العهد الذي بدأت منه إنجلترا نشاطها التجاري والبحري الاستعماري على نطاق واسع ودخلت في السياسة كقوة عالمية، لها وزنها على اعتبار أنه قد كانت هناك صدمات بين الطرفين الإسباني والإنجليزي فقد سعى كلاهما إلى كسب المغرب لصفه، فاهتمام إليزابيث بالمغرب شمل المصالح التجارية والسياسية فمنذ وصول المنصور إلى

[1] محمد زروق، **العلاقات المغربية خلال القرن 16خلال العهد السعدي الأول** ، ص192،193

[2] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق ، ص64،65

السلطة راسلته بضرورة معاملة التجار الانجليز معاملة حسنة وقد تجاوب المنصور معها في ذلك، مقابل أن تقدم إنجلترا الأخشاب لبناء الأساطيل المغربية، وطالبت إليزابيث مقابل الخشب نترات البوتاسيوم المغربية [1] ، ففي تلك الفترة تم أنشاء (شركة بلاد البربر) لاحتكار تجارة المغرب لمدة إثنتي عشر سنة 1585 م ونجد أن مصلحة الطرفين قد التقت في تحرير البرتغال وتنصيب أمير موال لإنجلترا (الدون أنطونيو) الذي لجأ لإنجلترا وتبنت إليزابيث قضيته وعملت هذه الأخيرة على طلب تقديم المنصور المساعدة للدون أنطونيو

كما نجد أن قضية العرائش لم تشغل بال إسبانيا فقط بل كانت مصدر شغل لانجلترا أيضا التي عملت للحصول على ميناء مغربي لاستخدامه في صراعها مع الاسبان وذلك نظرا لصلاحيات ميناء العرائش وموقعه المهم.

كما نجد أن رفض تسليم العرائش لإسبانيا بسبب رفض فليب الثاني تسليم المنصور الناصر، كما شجعته الأرمادة الإسبانية التي كانت نهاية التفوق البحري الإسباني، وبداية التفوق البحري الإنجليزي وعليه عمل المنصور على إرسال مبعوث مغربي وهو (مرزوق ريس) إلى إنجلترا لعقد محالفة إنجليزية مغربية ضد إسبانيا وإعادة (الدون أنطونيو للعرش) وفق شروط :

إذا اشتبك السلطان في حرب مع أي من الدول المجاورة غير المسيحية يصرح له باستخدام بحارة إنجلترا .

التصريح للمغرب بشراء مجازيف لسفنه الشرعية واستخدام بناة السفن الانجليزية لبناء سفنه.

تصريح بشراء حاجات المغرب من السلع.

وقد أجابت أنها ستبذل جهدها لتلبية طلبه في إطار قوانين وعادات بلادها[2]، وذلك لمراوغته فقط، فتم تنظيم حملة لغزو البرتغال وانهزمت فيها إنجلترا وهذا ما دعى إليزابيث تتهم المنصور بأنه لم يف بوعوده لأن هذا الأخير كان متردد نظرا لخوفه من الإسبان وانتهت هذه المشكلة بموت " الدون أنطونيو " 1595 م[3]، وقد تجددت العلاقات بعد دعم المنصور للأسطولين الإنجليزي

[1] – ب، ج، روجز، **تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى سنة 1900**، تر، يونان لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء،(د.ت)، ص 45

[2] نفسه، ص 48،49، 50.

[3] نفسه، ص 51 –52 .

والهولندي الذين كان يحاصران قادس وبذلك هاجمت السفن المغربية جزر الكناري وفتح موانئ المغربية أمام السفن الهولندية و الانجليزية لمهاجمة السفن الاسبانية القادمة من أمريكا .

– وبذلك طلبت انجلترا من المنصور تخريب المناطق الزراعية وفرض عليها حصارا إقتصاديا شديدا، ولكن الأمور وقفت عند هذا الحد فلقد توفي فليب الثاني 1598 م وعقد الصلح بين اسبانيا وفرنسا وشغلت إنجلترا بثورة إرلندا وتردى الوضع في المغرب بسبب الطاعون وبوفاة العاهلين المنصور وإليزابيت 1603 م انتهت هذه المشاريع التي ضلت حبرا على ورق [1].

و– علاقات المنصور مع البرتغال :

كانت معركة واد المخازن للبرتغال كارثة تاريخية بالنسبة للبرتغال فلم تفقد البرتغال جيشها وملكها فحسب بل بعد ذلك بقليل استقلالها فقد أدى انقراض أسرة سبستيان وعدم وجود وريث للعرش البرتغالي لضم البرتغال إلى التاج الاسباني وهكذا انتقلت إلى يد فليب الثاني بضربة من ضربات الحظ، كما يقول هربت فيشر المتلكات البرتغالية كلها ومنها (سبتة) التي وقعت من ذلك العهد تحت النفوذ الاسباني .

لكن نجد أنه وبعد وفاة الكاردينال هنري ترك وصية قبل وفاته أن يؤول عرش البرتغال لملك إسبانيا فليب الثاني، لكن هذا الأمر لقي معارضة من أفراد الأسرة الحاكمة خاصة من طرف الأمير (دون أنطونيو[2]) ومن هنا سارع ملك إسبانيا وعجل بإرسال جيش إسباني بقيادة دوق آلفا Duke ofalva ودخل إلى لشبونة فاتحا يوم 16 /04/ 1581 م، وأعلن انضمام عرش البرتغال إلى إسبانيا وقد أعلن فليب للشعب البرتغالي أنه لم يأتي إليهم فاتحا بل موحد للدولتين وأن البرتغال ستحافظ على شكلها المستقل، ولكن على غرار ذلك ضل الرأي العام يعتبر نفسه مستعمرا وهذا ما دعى الأمير (دون أنطونيو) والقائد (دوق أوف بار كانزا) القيام بمقاومة مسلحة لهذا الغزو، خاصة بعد وصول أسطول إسباني بقيادة (ماركوس دي سانتا كروز) حاصر لشبونة، كما احتل الموانئ البرتغالية وقد إتخذا (الدون أنطونيو) من نهر التاج مانعا يتحصن خلفه فيما أعلنت مدن (شنترين) و(كامبيرا) العصيان ضد الاحتلال الاسباني لكن مقاومة أنطونيو

[1] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 68 – 69.

[2] هو من أسرة " عما نويل " ملك البرتغال، وقد أسر في معركة القصر الكبير، وفك أسره بعد ذلك، أنظر هامش، شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي في العصر الحديث**، مرجع سابق، ص 182 .

فشلت فهرب للخارج لطلب المساعدة وإتجه إلى بريطانيا وطلب العون من الملكة إليزابيث ثم اتجه نحو المغرب وقابل السلطان المنصور وطلب منه أن يمنحه اللجوء والأمان، فوعده خيرا وقبله لاجئا في المغرب[1] .

كما نجد أن إسبانيا وجدت الفرصة المواتية للضغط على أحمد المنصور خاصة بعد لجوء مولاي الناصر ومحمد الشيخ، النجاة والفرار بعد معركة أصيلا وثم توجها للبرتغال في أواخر 1579 م وبداية 1580م عمل فارس الهنتالي على إرسال رسالة لهذا الأخير بالعودة إلى المغرب لإعلان الثورة ضد المنصور وفي جويلية من عام 1589م/997هـ، أرسل " مولاي الناصر [2] " وفد المقابلة الملك الإسباني فليب الثاني وطلب العون منه وبذلك سعى فليب الثاني إلى إبتزاز أحمد المنصور للضغط عليه وتحقيق مطامعه في المغرب [3].

غير أنه كما ذكرنا سابقا أن علاقة إنجلترا وإسبانيا في صراع مستمر، وهذا ما أدى (انطونيو) بالفرار إلى إنجلترا ويطلب النجدة لاسترجاع ملكه فإستغلت الملكة إليزابيث الصراع القائم بين "فليب الثاني " و " المنصور " فأرسلت لملك المغرب مساعدة " أنطونيو " لتحرير البرتغال وبذلك شرط عليهم المنصور عند طرد الاسبان من البرتغال يتنازل "أنطونيو" عن الجيوب الساحلية للمغرب، لكن هذا الأمر فشل بضغط " فليب الثاني " على المنصور بأنه سوف يقوم بدعم إثنين من أسرته المطالبين بالعرش بالثورة عليه، وهذا ما جعل المنصور يتريث ويتعامل بحذر نظرا لورقة الضغط التي اتخذها فليب الثاني والمتمثلة في وجود الناصر شقيق المتوكل ومحمد الشيخ عنده [4].

وبذلك فقد كانت مسألته مساعدة " الدون أنطونيو "، اللاجئ بإنجلترا والمطالبة باستعادة عرش البرتغال من إسبانيا من القضايا العامة التي برزت في علاقة المغرب مع البرتغال.

---

[1] فالح حنظل، مرجع سابق، ص 477 .

[2] الناصر بن عبد الله الغالب: كان أميرا على تادلا، اعتقله أخوه المتوكل وأطلق سراحه عبد الملك السعدي، فر إلى أصيلا يوم موقعة وادي المخازن ومنها إلى إسبانيا، قام بثورة ضد عمه المنصور، أنظر :أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج 5، ص 103 .

[3] جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 103 .

[4] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 67 .

ز- علاقات المنصور مع فرنسا:

كانت فرنسا تعاني آنذاك في الحروب ومن التدخل الاسباني في شؤونها و لم يكن بإمكانها أن تباشر صلات سياسة نشطة خارج القادة، ولكن الحكومة الفرنسية كانت على إطلاع على أحوال المغرب وعلاقاته الخارجية، وكان أول قناصلها في المغرب الطبيب " بيرار" مقربا من عبد الملك وأخيه المنصور وكان تعرف على الملك الذي يسهر على علاجه في إسطنبول وحين تولى عبد الملك انتقل " بيرار " إلى المغرب وحين توفي عبد الملك كان بيرار في فرنسا فعاد إلى المغرب مكلفا بتهنئة المنصور باسم ملك فرنسا والسعي لاستمرار العلاقات الطيبة، وذلك قصد الحصول على تسهيلات للسفن الفرنسية في موانئ المغرب وتحرير الأسرى .

ولكن مع مجيء هنري الرابع الذي أنهى الحروب الدينية وأمن الاستقرار في فرنسا بدأ يهتم بالمغرب وكان للعداء الفرنسي الاسباني أثره في تفكير " هنري الرابع " بعقد التحالف مع المغرب وتنشيط العلاقات التجارية [1].

بعد تولي أحمد المنصور عرش المغرب، قام " هنري الثالث " بتكليف " كيوم بيرار " بتاريخ 16جويلية 1583م بتقديم تهاني فرنسا لأحمد المنصور مذكرا إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت بينهما وبين أخيه المولى عبد الملك، مضيفا إلى هذه العواطف رجاء فرنسا في أن يأذن لمراكبها بدخول الموانئ المغربية، وبأن يعمل على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة و أن يسمح لها بتصدير أربعين ألف قنطار من ملح البارود وأخيرا تطلب إليه تعليمات هنري أن يقوم بمفاوضة السلطان أحمد المنصور حول قرض بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار بسلفات ملك المغرب إلى فرنسا .

كما نجد طلب هنري الثالث من المنصور 1588/02/21، تسريح بحارة فرنسيين تابعين لسفينة لالوف (lavauve) وقعوا مع سفينتهم في أسرى بعض البحارة المغاربة على مقربة من مدينة أصيل .

وقد استجاب المنصور السعدي لمطلب هنري الثالث عندما حصل بالمقابل على تحرير عدد أخر من الأسرى المغاربة الذين كانوا رقيقا بفرنسا وعندما تأكد أن المركب لا يحمل عناصر تهدد ثغوره.

[1] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 70 .

وقد أرسل له هنري طبيبا فرنسيا للبلاط المغربي لتعويض " كيوم بيرار " ثم قام بإرسال أرنول دوليس A- Deliste ، وبعده إيتيان هبير Etienne Hubert [1] .

كما نجد أن فرنسا كانت قد تدخلت في الصراع البرتغالي الاسباني فقامت بدعم البرتغال حيث قامت الملكة (كاترين دوميسي Catherine Demedicist) حملة عسكرية قوامها ستون سفينة، على متنها ستة ألاف رجل وأسندت القيادة للضابط (فليب سنروزي) لتحرير جزر الأزور التابعة للبرتغال، مقابل تنازل " الدون أنطونيو " لها عن البرازيل وبعض المناطق التابعة لها.

فكانت المعركة بتاريخ 26 جويلية 1582 م وتعرضت فرنسا لهزيمة كبيرة نظرا للتدخل الإسباني القوي.

وكان من بين أهم المشاريع المغاربية الفرنسية، هو مشروع هنري الرابع [2]، مع المنصور، وذلك بعد ما رأت فرنسا اشتداد الحروب الدينية بأوروبا الغربية، وكذلك أمام التهديدات الإسبانية لفرنسا، خاصة بعدما إعتنقت فرنسا المذهب البروستانتي، الذي كان في صراع مع المذهب الكاثوليكي، بحيث أدركت فرنسا من مصلحتها الإستراتيجية الاحتكاك " بالمنصور الذهبي " من أجل صد العدوان المشترك ألا وهو الاسبان. وعلى هذا أرسل الملك الفرنسي هنري الرابع ، سفارة للمغرب 12/13/ 1596م لتهيئة الوضع السياسي من أجل مشروع التحالف ضد إسبانيا التي تسعى لضم فرنسا، وكان الهدف هو إفشال خطط فليب وتوحيد القوى الدولية المناهضة لاحتلال البرتغال[3].

وقد ذكر الفشتالي في كتابه مناهل الصفا << أنه قد اتصل أهل، أفرانصة وانضم بعض إلى بعض فقويت شوكتهم وإستفحل أمرهم وتعاضمت صولتهم فسمت همهم إلى استرجاع ممالكهم ومعاودة سلطتهم وشمرو لمغالبة طاغية قشتالة على ما يليهم من ممالكه فصدت عساكرهم إلى

[1] عبد الهادي التازي، مرجع سابق ، ج8، ص274.

[2] كان حاكما لمقاطعة نفاريا، ملك فرنسا من سنة 1589 إلى 1610 م، ابن أنطوان دوبرمون، أنظر جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 135 .

[3] جلول بن قومار، المرجع السابق، ص 135 .

باريس فنازلوها وجلبوا على أعماله وممالكه وزاحموه بالمناكب ولاحت لهم بوارق الظهور عليه فتهالكوا لهذا العهد >> [1].

كما نجد أن فرنسا قد اهتمت بأمر حرية الملاحة وعلى تقوية العلاقات الاقتصادية فقد قام " هنري الرابع " ببعث رسالة إلى محمد الثالث سلطان تركيا يشكو فيها مضايقة المغاربة للسفن الفرنسية ويدعو لمراسلة السلطان المغربي وبالفعل قد قام محمد الثالث بمراسلة العاهل المغربي "23 أوت 1603م"[2]، وعليه يمكن القول أن علاقات فرنسا بالمغرب في أواخر القرن السادس عشر ميلادي العاشر هجري كانت مجملها تدور حول الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى أو طلب السماح للسفن التجارية الفرنسية باستعمال الموانئ المغربية[3].

- **وفاة المنصور:**

عرف المنصور في سنواته الأخيرة خاصة بعدما حقق نجاحات عدة اضطرابات منها انتشار الطاعون الذي عصف بالبلاد والعباد وبالإضافة لعصيان وتمرد ابنه ولولي العهد محمد الشيخ المأمون الذي كان مدمنا ولا يكترث بأمور الدين[4] والذي ثار على والده وبذلك توجه المنصور نحو فاس لتأديبه وبدوره توجه محمد الشيخ لتلمسان لطلب العون من العثمانيين لكن تم اعتقاله نقله إلى مكناس ثم مراكش وبعد هذا التمرد عاد المنصور إلى مراكش وذلك في الوقت الذي انتشر فيه الوباء سنة 1603م/1012هـ، وقد أصيب المنصور بالوباء يوم الأربعاء الحادي عشر من الربيع الأول سنة اثنتي عشر وألف توفي ليلة الاثنين من سنة 1603م/1012هـ[5].

وبذلك عرف المغرب بعد وفاة المنصور الكثير من المحن بل أن الأخطار قد زادت على البلاد واشتدت وطأة التدخل الأجنبي الخارجي والاحتلال الأوروبي والتركي[6].

---

[1] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 195 .

[2] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج8، ص 175 .

[3] جلول بن قومار، المرجع السابق، ص 136 .

[4] أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق ،ج5، ص 169

[5] -إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العهد السعدي، مرجع سابق، ص 87.

[6] -عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ، ج6، ص 243.

خاتمـــة

-وفي ختام دراستنا لموضوعنا هذا" معركة وادي المخـــازن" (986هـــــ/1012هـــــ-1578/1603م) توصلنا إلى جملة من النقاط والتي نوجزها في ما يلي :

-كانت الأوضاع السياسية في المغرب في عهد الوطاسيين متدهورة بسبب غياب ســـلطة مركزية متحكمة بأمورالبلاد الأمر الذي أدى إلى ظهور وحدات سياسية متناحرة وهذا ما كان له انعكاس سلبي على الأوضاع الداخلية للمغرب في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وهـــذا الأمر شجع القوى الخارجية الأوربية على غزو المغرب واحتلاله وفي ظل هاته الظروف قامـــت الدولة السعدية التي سعى حكامها إلى إرساء دعائم دولتهم وكذا الجهاد ضـــد الغـــزو الأوروبي الصليبي.

-قاد عبد الملك السعدي برفقة أخيه أحمد المنصور معركة وادي المخازن ضد الملك البرتغالي الدون سيبستيان والتي انتهت بانتصار المغاربة وكذا وفاة عبد الملك السعدي ومقتل الملك البرتغالي الدون سيبستيان وغرق الخائن المتوكل بالله وبهذا سميت معركة وداي المخازن أيضا بمعركة الملوك الثلاث.

-أخذ النصر للمغاربة خاصة والأمة الإسلامية عامة من دولة البرتغال التي كانـــت تعـــد إحدى أخطر الدول الصليبية المعادية للإسلام والمسلمون.

- ظهور شخصية أحمد المنصور الذهبي" الذي أعتبر رجلاً سياسياً بامتيـــاز واســـتطاع أن يكمل طريق أخيه "عبد الملك".

-أدت هذه المعركة إلى صراعات بين الدول الصليبية كمنافسين أقوياء للسياسة الإســـبانية بالمغرب الأقصى.

-أحدثت هذه المعركة خلافات بين البرتغال وإسبانيا وبهذا صارت البرتغال مستعمرة إسبانية

-انتصار المغاربة في معركة القصر الكبير عزز مكانة المغرب الدولية، وجعل القوى الأوروبية تسارع لكسب وده والتعامل باعتباره من القوى المؤثرة في منطقة الشمال الإفريقي

-اكتساب المغرب لمكانة دولية عالمية تمثلت بعض جوانبها بالسفارات والبعثات الدبلوماسية.

– من نتائج المعركة أنها كانت ضربة قاضية للبرتغال نجح المنصور في الحفاظ على اســـتقلال المغرب، وتجنيبه أي مواجهة عسكرية مع الإسبان في الشمال والأتراك العثمانيين في المغرب في فترة بالغة الحساسية في الصراع الدولي.

–استطاع المنصور غزو الصحراء وفتح السودان، لكن النقاط التي تحسب ضد المنصور هـــو عدم استكماله لتحرير باقي ثغور المحتلة بالمغرب من طرف الإسبان والبرتغال والتي هي محتلة ليومنا هذا وكذا نقطة أخرى، وهي تقسيمه لولاية العرش على أبنائه وهذا ما كـــان ســـبب في انهيـــار وسقوط الدولة السعدية.

وهكذا كانت معركة القصر الكبير قد شغلت الرأي العام العالمي لفترة طويلة لما لها من نتائج فهي بالنسبة للمسلمين في المغرب وبقية العالم الإسلامي بمثابة معركة كبيرة فقد أسفرت المعركـــة عن العديد من النتائج التي تركت بصماتها واضحة جلية على خريطة العالم المعاصر في ذلك الوقت وبذلك أنهت معركة القصر الكبير أسطورة دولة البرتغال القوية وأبرزت إفلاس الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، فقد أكدت هذه المعركة على قوة المغرب والمغاربة سياسياً وأكدت استقلال المغرب كدولة محلية بعيدة عن التبعية للدول الإمبراطورية المحيطة بها كالأتراك العثمانيين والإسبان والبرتغاليين وأن هذا الانتصار العظيم قد دعم هذا الاستقلال ودفع بالمغرب إلى مصـــاف الـــدول الكبرى.

– من النقاط التي تحسب ضد المنصور هو عدم استكماله لتحرير باقي الثغور المحتلة بالمغرب من طرف الاسبان والبرتغال والتي لا تزال محتلة إلى يومنا هذا وكذا قضية ولاية العـــرش ومنحـــه لأسوأ أبنائه، وهذا ما كان سبب في تدهور الدولة السعدية وسقوطها فيما بعد.

الملاحـــق

الملحق رقم 01: ملوك الدولة الوطاسية

	تاريخ التوليد
محمد الشيخ بن أبي ذكرياء	٨٧٦ هـ — ١٤٧٢ م
محمد بن محمد الشيخ (البرتغالي)	٩١٠ هـ — ١٥٠٤ م
أبو حسونه علي بن محمدالشيخ (خلع ثم عاد للملك)	٩٣١هـ— ١٥٢٤ م
أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ	٩٣١ هـ ـــ ١٥٢٤ م
أبو حسونه	٩٦١ هـ — ١٥٥٣ م

أنظر : شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص 463

الملحق رقم 02: خريطة توضح الأطماع الأجنبية في المغرب

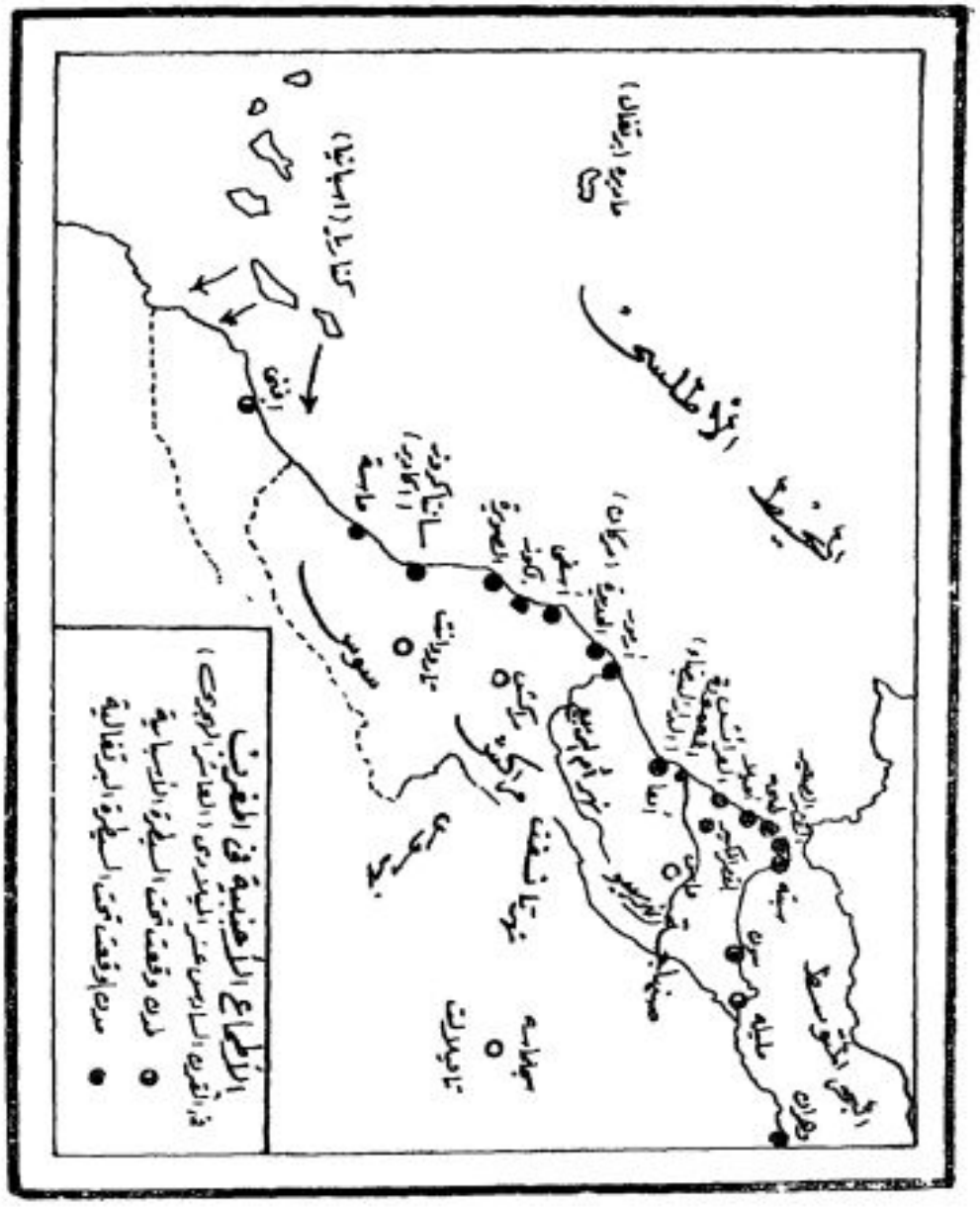

أنظر: شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص 487

الملحق رقم 03: يوضح ملوك الدولة السعدية

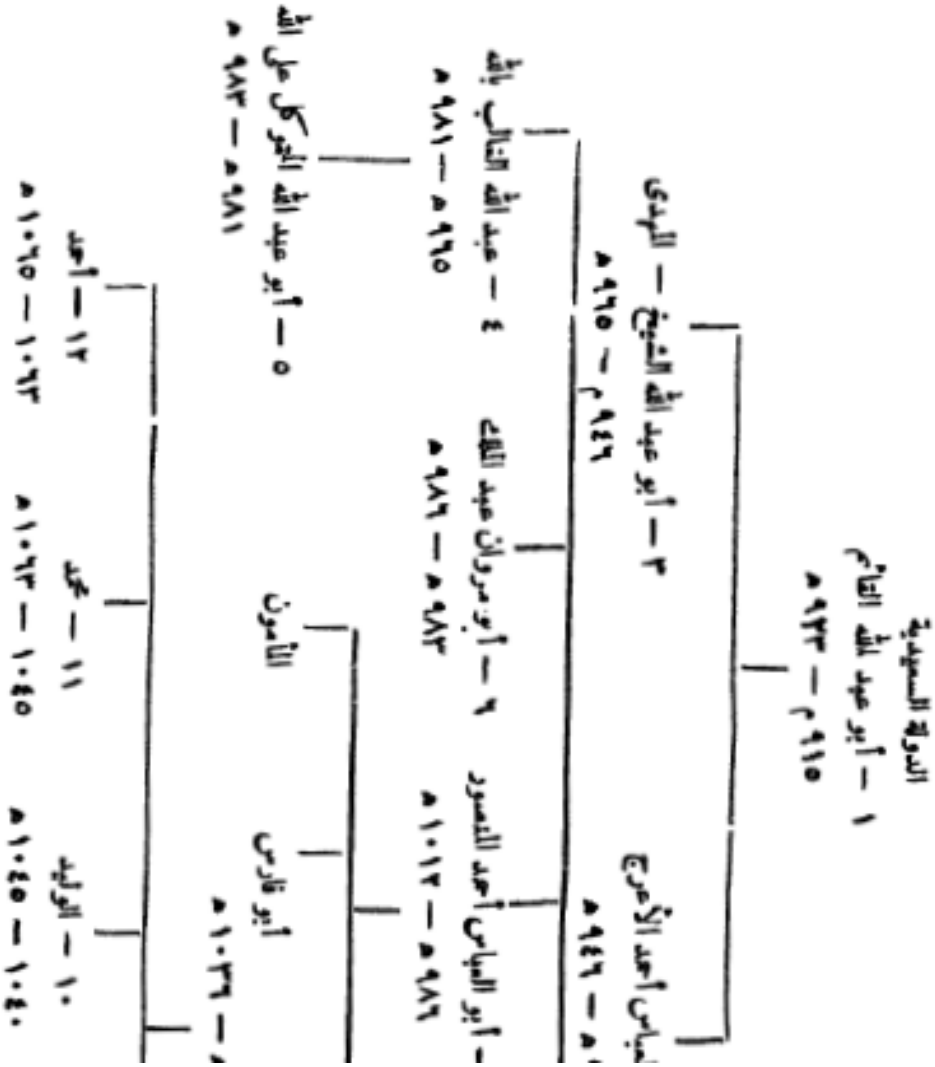

أنظر: شوقي عبد الله الجمل، مرجع سابق، ص 465.

الملحق رقم 04: كشف بتعداد القوات البرتغالية والمغربية

1 – القوات البرتغالية: بقيادة الملك سيبستيان[1] .	
تسعة آلاف جندي برتغالي	(9000)
ثلاثة آلاف ألماني	(3000)
ألفان قشتالي	(2000)
أربعة آلاف فارس	(4000)
عشرة آلاف جندي إسباني	(10000)
ستمائة من العبيد	(600)
ثمانية بوارج برتغالية	(8) بوارج برتغالية
ستون غالبرة إسبانية	(60) غالبرة إسبانية
ست بوارج فرنسية	(6) بوارج فرنسية
ألف عربجي	(1000) يجرون العربات
مائتين مدفع :	(200مدفع)
المجموع : ثمانية عشر ألف وستمائة مقاتل (29600) حسب رواية هنري دوكاستري بينما المؤرخ الفرنسي شاربار فقد أشار إلى ثمانين ألف مقاتل) 80000) وأجمعت المصادر العربية أن تعداده كان ما بين مئة ألف ومائة وعشرين ألف مقاتل .	
2 – القوات المغربية :بقيادة عبد الملك السعدي[2]	
ثلاثة آلاف من جند الأندلس	(3000) بقيادة الدغالي .
ثلاثة آلاف من المشاة	(3000) .
خمسة وعشرون ألف فارس	(25000) .
ألف رام بالبنادق (أعلاج)	(1000)
ألف وخمسمائة من عساكر الجزائر	(1500)
ألف فارس متطوع وعدد كبير من المغامرين (1000)	
يَدعمهم أربع وثلاثين مدفع (34) . المجموع : قيل أربعين ألف مقاتل وقيل ثمانين ألف مقاتل.	

أنظر : جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 149

الملحق رقم 05: يبين رسم تخطيطي لمعركة وادي المخازن، كما تخيلها المؤرخ، فراي لوي نييطو Fray luis nieto

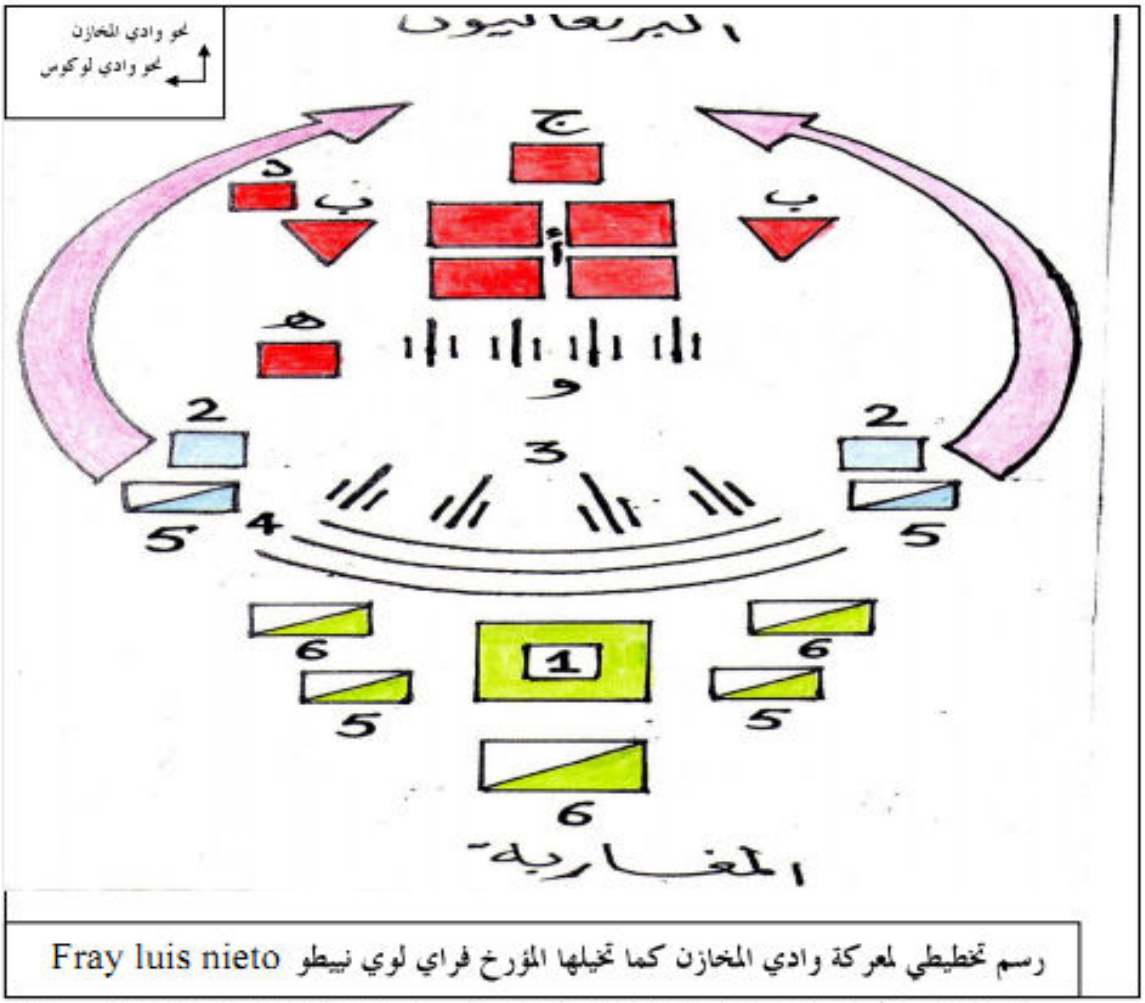

رسم تخطيطي لمعركة وادي المخازن كما تخيلها المؤرخ فراي لوي نييطو Fray luis nieto

أ– الكتائب الأربعة الرئيسية التي تحيط بملك البرتغال 1 – الرماة المشاة محيطون بالعاهل المغربي عبد والفرسان والرماة [1]. الملك السعدي [2].

ب– الفرسان . 2– الرماة الفرسان .

ج– الحراسة الخلفية . 3– المدفعية .

د– فرقة المتوكل حليف ملك البرتغال . 4– ثلاثة صفوف للرماة المشاة

ه– الفرسان . 5– الفرسان .

و– المدفعية . 6– فرسان الاحتياط .

أنظر: جلول بن قومار، مرجع سابق، ص 81

الملحق رقم 06: يبين ميدان معركة القصر الكبير

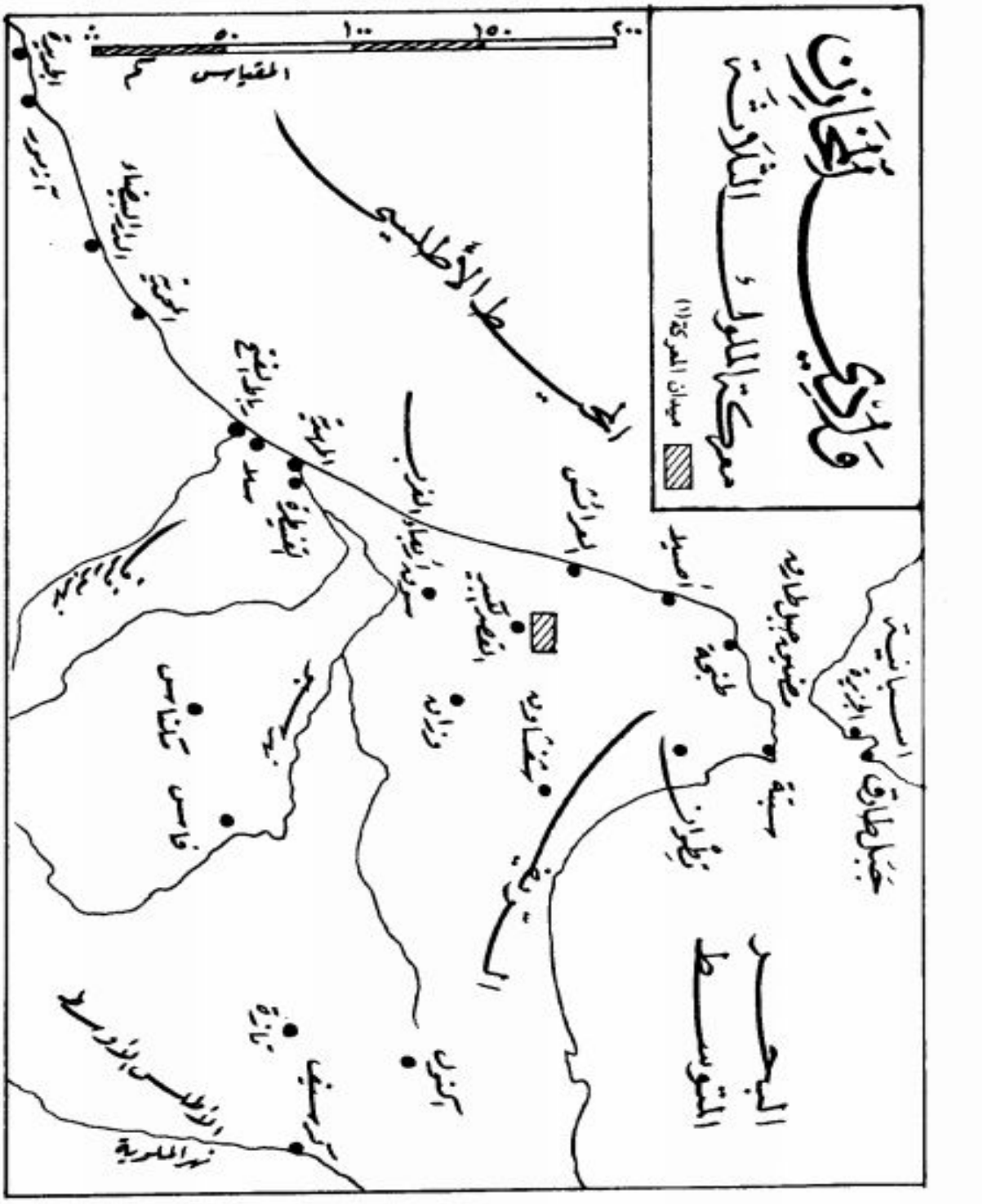

أنظر: شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 59

الملحق رقم 07: يبين أحد نماذج مراسلات أحمد المنصور وفليب الثاني

بعض مراسلات المنصور مع فيليب الثاني كما نسخها (اللونسو القشتالي)
المكتبة الوطنية بمدريد ــ اسبانيا ــ مخطوط ــ رقم 257

أنظر: عبدالكريم كريم، مرجع سابق، ص 354

قائمة البيبليوغرافيا

- **القرآن الكريم برواية ورش**

1/ المصادر:

أ/ المصادر العربية:

1. إبن القاضي أحمد بن محمد المكناسي، **لفظ الفرائد من ألفاظ حقق وفوائد**، تحقيق محمد حجي، ج2،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1996.

2. ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج5، ط3، مؤسسة تاريخ العرب، بيروت، 1993.

3. الأفراني محمد الصغير بن الحاج، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق، هوداس، باريس، 1989 .

4. الأنصاري محمد بن قاسم، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تر: عبد الوهاب منصور، ط2، الرباط، 1983.

5. السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر، **تاريخ السودان**، مطبعة هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس،1981.

6. الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2،تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

7. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق:عبد كريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، (د.ت).

8. الفهري أبو حامد محمد العربي، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق: الشريف محمد حمزة ابن علي الكتاني، منشورات أبي المحاسن، (د.م.ن)، (د.ت).

9. المقري أحمد ابن أحمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب**، ج3، دار صادر، بيروت، 1988.

10. الناصري أبو عباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5،ج 6،تحقيق: جعفر الناصري،دار الكتاب، الدار البيضاء،1955.

11. بابا أحمد التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تقديم:عبد الحميد الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،1989.

12. بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعودفي أخبار وهران والجزائر،في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19**، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، (د.م.ن)، (د.ت)

13. ديقو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تعريب محمد حجي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت).

14. كربخال مارمول لويس، **تاريخ إفريقيا**،ج2، تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت .

15. مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تقديم: عبد الرحيم سنجادة، ط1، دار تيحمل للطباعة، مراكش، 1994.

16. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، **معجم البلدان**، مجلد 2، 3، 4، دار صادر،(د.م.ن)، 1997/1993.

2/المراجع:

أ/المراجع العربية:

1. أحمد محمد الأمين ومحمد علي الرحمان، **المفيد في التاريخ المغرب**، دار الكتاب للنشر،الدار البيضاء،(د.ت).

2. آلتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر:محمود علي عامر، دار النهضة العربية بيروت، 1989.

3. التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج10،ج7، ج8، مطابع فظالة، المحمدية، المغرب،1988.

4. الجمل شوقي عطا الله وعبد الله الرزاق، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الهراء، الرياض، (د.ت).

5. الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1977.

6. الجميعي عبد المنعم إبراهيم،**الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي،القاهرة،2006.

7. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة، الجزائر،2007.

8. الدورة علي ابن إبراهيم، **تاريخ احتلال البرتغال للقطيف**، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.

9. السائح الحسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 1986.

10. السلمان محمد حجي، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة 1507-155**، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م.ن)،2000.

11. السوسي محمد المختار، **السوس العالمة**، مطبعة الفاضلة المحمدية، المغرب، 1960.

12. العربي إسماعيل، **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية**، ط1،دار الأفاق، المغرب، 1993.

13. الصلابي علي محمد، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، ج2، دار الفجر للتراث، القاهرة، (د.ت).

14. الغنيمي عبد الفتاح المقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي بني حفص وبني زيان وبني مرين وبني وطاس والسعيين إلى ظهور الإشراف العلـــويين**، ج6، ج5، دراســة في التــاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

15. الكريم عبد كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، جامعة محمد الخامس، المغــرب، 1972.

16. المحامي بك فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط3،مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007.

17. المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 ،1792**، دار البعث للنشر، الجزائر، (د.ت).

18. الصلابي محمد علي، **صفحات مشرقة تاريخ الإسلامي**، ج2، دار الفجــر للتــراث، القاهرة، (د.ت).

19. بروان جفري، **تاريخ أوربا الحديث**، تعريف علي المرزوقي، الأهلية للنشــر، الأردن، (د.ت).

20. بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب**، القرن15هـ-10هـ ج1، دار الأمة للنشر، الجزائر، 1976.

21. حركات إبراهيم، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الــدار البيضاء، المغرب 1976.

22. حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، دار الرشاد الحديثــة، الــدار البيضــاء 1978

23. خطاب محمود شيت، **قادة المغرب العربي**، ج2، ط7، دار الفكر للطباعة، 1984.

24. داود محمد، مختصر، **تاريخ تطوان**، ط2، مطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1955.

25. دياب فؤاد، **سياسية المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر**، مجموعة عربية، (د.م.ن)، (د.ت).

26. روجز،ب،ج، **تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى سنة 1900**، تر: يونان لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).

27. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، (د.م.ن)، 1985.

28. شحاتة إبراهيم، **أطوار العلاقات المغربية العثمانية**، منشأة المعارف، الإسكندرية 1982.

29. شحاتة عطا علي محمد، **اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرنيين والوطاسيين**، ط2،دار الكلية للطباعة، (د.م.ن)،1999.

30. قدوري عبد المجيد، **المغرب وأوربا ما بين القرنين15 و18م**، المركز الثقافي العربي، ط1الدار البيضاء، 2000.

31. محمود علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى وليبية)**، ج2، جامعة دمشق للنشر، (د.ت).

32. مولاي بلحميسي، **الجزائر خلال رحلات المغاربة في العصر العثماني**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1996.

33. نكروف يونس، **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة**، تعريب: وفاء موسى وحسن حيدر ط1، عويدات، بيروت، (د.ت).

34. نوار عبد العزيز ومحمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، ج1، دار الفكر، دمشق، 1999.

35. ياغي إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1مكتبة الجيكاز، الرياض، 1996.

36. ياغي إسماعيل أحمد، **العالم في التاريخ الحديث**، ط1،مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

ب المراجع باللغة الأجنبية :

1. Diego fray de haedo :**Histoire des rois d'alger ,traduite h d .grommont** ,alger ,1881
2. Godard Leon ,**description et hestoir du maroc** ,editeur librairie pour lartmilitair et les sciences ,s,d, paris
3. L.A Rebello da .Silva: **Inasion et Occupation du royaume de Portugal en 1580**- Imprimerie renou et manulde,Paris;1864 T1
4. Renan ernest ,**documentinedites sur l histoire de loccpation espagnol en afrique** ,publer par le marchal de
5. Shaferhennri ,**histoiredePortugal**,delhoys,librairie ,paris ,1578,paris, 1854.

- **المقالات والدوريات العربية :**

- **مجلة دعوة الحق المغربية :**

1. الأحمد ناصر بن محمد، **معركة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، العدد 8، الرباط، 1978.

2. أعراب سعيد، **موقعة وادي المخازن وإنحدار الصلبية بالمغرب**، مجلة دعوة الحق، العدد 8،السنة 19، الرباط، 1978.

3. بن تاويت محمد، **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن**، مجلة، دعوة الحق، العدد8،السنة 19،الرباط،1978.

4. بن كنون عبد الله، **حول موقعة وادي المخازن**، مجلة دعوة، العدد8، السنة19، الرباط1978.

5. حركات إبراهيم، **أحمد المنصور الذهبي**، مجلة دعوة الحق، العدد8، الرباط، 1978

6. السائح حسن، **العلماء وراء وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، العدد8، السنة 19،الرباط،1978.

7. العمراني عبد الله، **أمجادنا الوطنية في معركة القصر الكبير**، مجلة دعوة الحق، العدد1، السنة19، الرباط، 1964.

8. العمراني عبد الله، **معركة القصر الكبير**، مجلة دعوة الحق، العدد 1،المغرب، نوفبر، 1964.

9. محمد حجي، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، مجلة دعوة الحق، العدد5، سبتمبر، المغرب 1980.

10. المنوني محمد، **وثيقتان جديدتان عن ذيول وقعة وادي المخازن**، في مجلة دعوة الحق، العدد 8، المغرب، 1978.

- **مجلة المناهل**

1. بن كنون عبد الله، **عبد الملك المعتصم بطل معركة وادي المخازن**، مجلة المناهل، العدد 13، السنة،1978.

2. محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن16**، مجلة المناهل، العدد38، السنة 15، ديسمبر، (د.م.ن)، 1989.

- **مجلة جامعة الملك سعود:**

1. السويكت فهد إبن محمد، **موقف الأشراف السعديين من مسألة الخلافة**،مجلة جامعة الملك سعود، كلية الأدب، العدد19،الرياض،2006.

- **مجلة الدراسات التاريخية :**

1. عمار بن خروف، **ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين**، العدد3، في مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1978.

مجلة الإحياء:

1. عبد الرحمان قباح، **معركة وادي المخازن، 986هـ/1578م**، مجلة الإحياء، عدد1، تصدرها رابطة العلماء، المغرب 1981.

- **الرسائل الجامعية:**

1. جلول بن قومار، **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب (أوربا البرتغال، إسبانيا، فرنسا) (986هـ-1012/1578هـ-1603م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، غرداية، 2010-2011.

- **القرآن الكريم برواية ورش**

1/ المصادر:

أ/ المصادر العربية:

1. إبن القاضي أحمد بن محمد المكناسي، **لفظ الفرائد من ألفاظ حقق وفوائد**، تحقيق محمد حجي، ج2،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1996.

2. ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج5، ط3، مؤسسة تاريخ العرب، بيروت، 1993.

3. الأفراني محمد الصغير بن الحاج، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق، هوداس، باريس، 1989 .

4. الأنصاري محمد بن قاسم، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تر: عبد الوهاب منصور، ط2، الرباط، 1983.

5. السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر، **تاريخ السودان**، مطبعة هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس،1981.

6. الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2،تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

7. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق:عبد كريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، (د.ت).

8. الفهري أبو حامد محمد العربي، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق: الشريف محمد حمزة ابن علي الكتاني، منشورات أبي المحاسن، (د.م.ن)، (د.ت).

9. المقري أحمد ابن أحمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب**، ج3، دار صادر، بيروت، 1988.

10. الناصري أبو عباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5،ج 6،تحقيق: جعفر الناصري،دار الكتاب، الدار البيضاء،1955.

11. بابا أحمد التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تقديم:عبد الحميد الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،1989.

12. بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعودفي أخبار وهران والجزائر،في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19**، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، (د.م.ن)، (د.ت)

13. ديقو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تعريب محمد حجي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت).

14. كربخال مارمول لويس، **تاريخ إفريقيا**،ج2، تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت .

15. مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تقديم: عبد الرحيم سنجادة، ط1، دار تيحمل للطباعة، مراكش، 1994.

16. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، **معجم البلدان**، مجلد 2، 3، 4، دار صادر،(د.م.ن)، 1997/1993.

2/المراجع:

أ/المراجع العربية:

1. أحمد محمد الأمين ومحمد علي الرحمان، **المفيد في التاريخ المغرب**، دار الكتاب للنشر،الدار البيضاء،(د.ت).

2. آلتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر:محمود علي عامر، دار النهضة العربية بيروت، 1989.

3. التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج10،ج7، ج8، مطابع فظالة، المحمدية، المغرب،1988.

4. الجمل شوقي عطا الله وعبد الله الرزاق، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الهراء، الرياض، (د.ت).

5. الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1977.

6. الجميعي عبد المنعم إبراهيم،**الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي،القاهرة،2006.

7. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة، الجزائر،2007.

8. الدورة علي ابن إبراهيم، **تاريخ احتلال البرتغال للقطيف**، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.

9. السائح الحسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 1986.

10. السلمان محمد حجي، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة 1507-155**، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د.م.ن)،2000.

11. السوسي محمد المختار، **السوس العالمة**، مطبعة الفاضلة المحمدية، المغرب، 1960.

12. العربي إسماعيل، **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية**، ط1،دار الأفاق، المغرب، 1993.

13. الصلابي علي محمد، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، ج2، دار الفجر للتراث، القاهرة، (د.ت).

14. الغنيمي عبد الفتاح المقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي بني حفص وبني زيان وبني مرين وبني وطاس والسعيين إلى ظهور الإشراف العلـــويين**، ج6، ج5، دراســة في التــاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

15. الكريم عبد كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، جامعة محمد الخامس، المغــرب، 1972.

16. المحامي بك فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط3،مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007.

17. المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 ،1792**، دار البعث للنشر، الجزائر، (د.ت).

18. الصلابي محمد علي، **صفحات مشرقة تاريخ الإسلامي**، ج2، دار الفجــر للتــراث، القاهرة، (د.ت).

19. بروان جفري، **تاريخ أوربا الحديث**، تعريف علي المرزوقي، الأهلية للنشــر، الأردن، (د.ت).

20. بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب**، القرن15هـ-10هـ ج1، دار الأمة للنشر، الجزائر، 1976.

21. حركات إبراهيم، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الــدار البيضاء، المغرب 1976.

22. حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، دار الرشاد الحديثــة، الــدار البيضــاء 1978

23. خطاب محمود شيت، **قادة المغرب العربي**، ج2، ط7، دار الفكر للطباعة، 1984.

24. داود محمد، مختصر، **تاريخ تطوان**، ط2، مطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1955.

25. دياب فؤاد، **سياسية المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر**، مجموعة عربية، (د.م.ن)، (د.ت).

26. روجز،ب،ج، **تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى سنة 1900**، تر: يونان لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).

27. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، (د.م.ن)، 1985.

28. شحاتة إبراهيم، **أطوار العلاقات المغربية العثمانية**، منشأة المعارف، الإسكندرية 1982.

29. شحاتة عطا علي محمد، **اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرنيين والوطاسيين**، ط2،دار الكلية للطباعة، (د.م.ن)،1999.

30. قدوري عبد المجيد، **المغرب وأوربا ما بين القرنين15 و18م**، المركز الثقافي العربي، ط1الدار البيضاء، 2000.

31. محمود علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى وليبية)**، ج2، جامعة دمشق للنشر، (د.ت).

32. مولاي بلحميسي، **الجزائر خلال رحلات المغاربة في العصر العثماني**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1996.

33. نكروف يونس، **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة**، تعريب: وفاء موسى وحسن حيدر ط1، عويدات، بيروت، (د.ت).

34. نوار عبد العزيز ومحمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، ج1، دار الفكر، دمشق، 1999.

35. ياغي إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1مكتبة الجيكاز، الرياض، 1996.

36. ياغي إسماعيل أحمد، **العالم في التاريخ الحديث**، ط1،مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

ب المراجع باللغة الأجنبية :

1. Diego fray de haedo :**Histoire des rois d'alger ,traduite h d .grommont** ,alger ,1881
2. Godard Leon ,**description et hestoir du maroc** ,editeur librairie pour lartmilitair et les sciences ,s,d, paris
3. L.A Rebello da .Silva: **Inasion et Occupation du royaume de Portugal en 1580**- Imprimerie renou et manulde,Paris;1864 T1
4. Renan ernest ,**documentinedites sur l histoire de loccpation espagnol en afrique** ,publer par le marchal de
5. Shaferhennri ,**histoiredePortugal**,delhoys,librairie ,paris ,1578,paris, 1854.

- **المقالات والدوريات العربية :**

- **مجلة دعوة الحق المغربية :**

1. الأحمد ناصر بن محمد، **معركة وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، العدد 8، الرباط، 1978.

2. أعراب سعيد، **موقعة وادي المخازن وإنحدار الصلبية بالمغرب**، مجلة دعوة الحق، العدد 8،السنة 19، الرباط، 1978.

3. بن تاويت محمد، **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن**، مجلة، دعوة الحق، العدد8،السنة 19،الرباط،1978.

4. بن كنون عبد الله، **حول موقعة وادي المخازن**، مجلة دعوة، العدد8، السنة19، الرباط1978.

5. حركات إبراهيم، **أحمد المنصور الذهبي**، مجلة دعوة الحق، العدد8، الرباط، 1978

6. السائح حسن، **العلماء وراء وادي المخازن**، مجلة دعوة الحق، العدد8، السنة 19،الرباط،1978.

7. العمراني عبد الله، **أمجادنا الوطنية في معركة القصر الكبير**، مجلة دعوة الحق، العدد1، السنة19، الرباط، 1964.

8. العمراني عبد الله، **معركة القصر الكبير**، مجلة دعوة الحق، العدد 1،المغرب، نوفبر، 1964.

9. محمد حجي، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، مجلة دعوة الحق، العدد5، سبتمبر، المغرب 1980.

10. المنوني محمد، **وثيقتان جديدتان عن ذيول وقعة وادي المخازن**، في مجلة دعوة الحق، العدد 8، المغرب، 1978.

- **مجلة المناهل**

1. بن كنون عبد الله، **عبد الملك المعتصم بطل معركة وادي المخازن**، مجلة المناهل، العدد 13، السنة،1978.

2. محمد زروق، **العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن16**، مجلة المناهل، العدد38، السنة 15، ديسمبر، (د.م.ن)، 1989.

- **مجلة جامعة الملك سعود:**

1. السويكت فهد إبن محمد، **موقف الأشراف السعديين من مسألة الخلافة**،مجلة جامعة الملك سعود، كلية الأدب، العدد19،الرياض،2006.

- **مجلة الدراسات التاريخية :**

1. عمار بن خروف، **ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين**، العدد3، في مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1978.

مجلة الإحياء:

1. عبد الرحمان قباح، **معركة وادي المخازن، 986هـ/1578م**، مجلة الإحياء، عدد1، تصدرها رابطة العلماء، المغرب 1981.

- **الرسائل الجامعية:**

1. جلول بن قومار، **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب (أوربا البرتغال، إسبانيا، فرنسا) (986هـ-1012/1578هـ-1603م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، غرداية، 2010-2011.

الفهـــرس

الفهـــرس

العنوان الصفحة

إهداء

تشكرات

فهرس

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ-ج

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للمغرب قبيل معركة وادي المخازن

1-الأوضاع السياسية للمغرب قبل قيام السعديين..... 05

2-نهاية الوطاسيين وقيام السعديين..... 13

3-العلاقات الخارجية للدولة السعدية..... 20

الفصل الثاني: معركة وادي المخازن

1-الأسباب..... 33

2-وقائع المعركة..... 42

3-نتائج المعركة..... 55

الفصل الثالث: أثار وانعكاسات معركة وادي المخازن

1-تولي المنصور لعرش الدولة السعدية..... 61

2-السياسة الداخلية للمنصور..... 65

3-السياسة الخارجية للمنصور..... 69

خاتمة..... د-ه

الملاحق..... 84

البيبليوغرافيا

فهرس